روايات عبير

المترددة

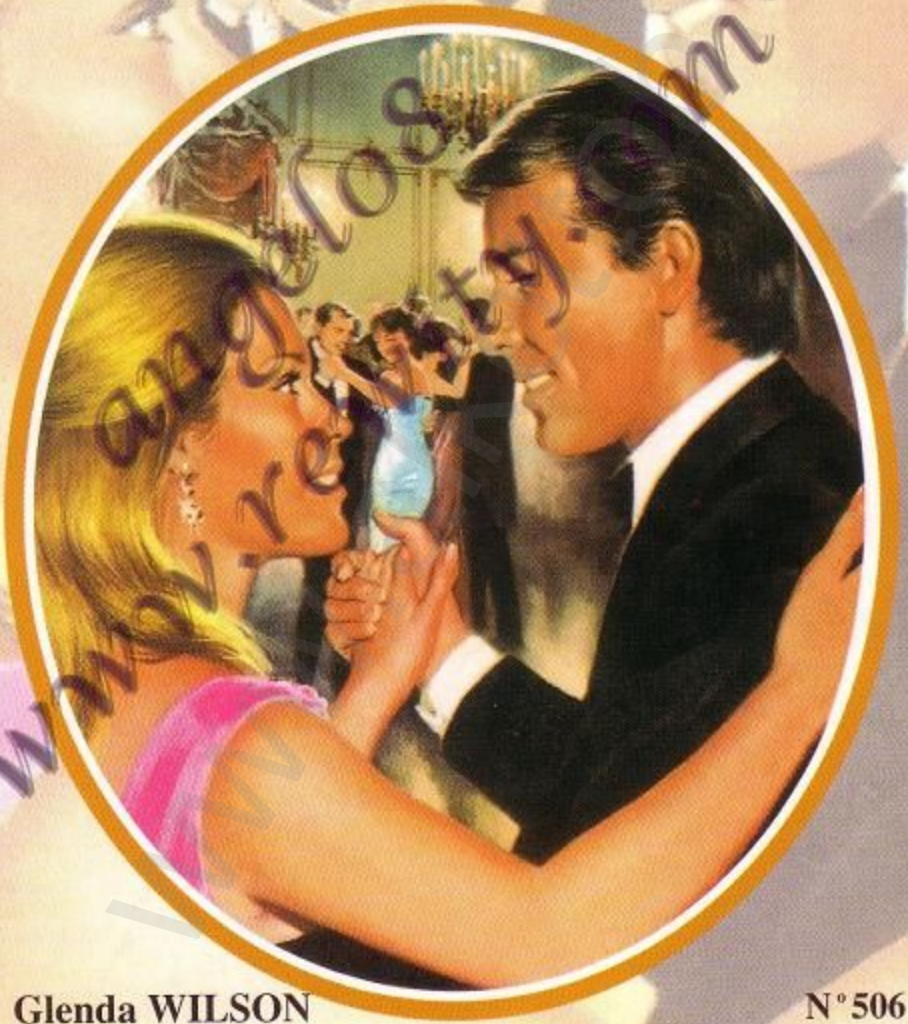

Glenda WILSON

N°506

www.alkottob.com

روايات عبير

استدارت "نيلا" لتجد "جاك" أمامها.

كان يبدو رائعا.

شعرت بأنفاسه تتلاحق.

رسمت على شفتيها ابتسامة مضطربة

نظرت إليه كالطائر الحزين الذي حط على الأرض

بعد طول طيران. قال لها:

- أتريدين اللعب؟

- مستحيل. إن هذا ليس يوم حظي.

- وضع قطعة النقود في يدها قائلاً:

- أشعر أن حظك سوف يتغير.

- أنت كل الحظ الذي أريده يا "جاك".

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	١٠ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	20 درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	2.5 دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

ISBN 9958-443-94-7

9 789953 443942

www.alkottob.com

شخصيات الرواية

"چاك ماديسون": ضابط بوحدة مكافحة المخدرات.. يلقبونه بالمجنون الكبير؛ لجرأته الشديدة في عمله.

"نيلا شيفرد": فتاة بسيطة.. خجول.. تمتلك متجراً صغيراً في مدينة "دان فيل".

"داي جراسيا": زميلة "چاك" بوحدة مكافحة المخدرات.

"انچي باركر" صديقة "نيلا" وجارتها.

الغلاف الأمامي

"چاك ماديسون" ضابط بوحدة مكافحة المخدرات.. يلتقي ذات يوم بـ"نيلا شيفرد" في أحد الكازينوهات.. يقضيان وقتا ممتعا معا.. لكنه يتتبع آثارها حتى يصل إلى عنوانها...

ما الذي دفعه إلى ذلك؟ هل هو الحب الصادق؟ أم أنه يلعب أحد الأدوار التي اعتاد عليها في عمله؟

يتقرب إليها ويتفاهمان على كل شيء إلا أنه في اللحظة الأخيرة تحدث المفاجأة... ما الحقيقة إذن؟... كلاهما يبحث عنها...

www.alkottob.com

الفصل الأول

للوهلةالأولى، اعتقد "چاك ماديسون" أنها مغامرة، كذلك فإن زينتها توحي بذلك. كانت ترتدي فستاناً ضيقاً من القطيفة السوداء مزيناً على الكتف اليسرى بستان زمردي اللون، وكانت ساقاها الرشيقتان وجسدها المتناسق الكل يبعث على الإثارة والمتعة.

من المستحيل على أي رجل أن يقاوم محاولة اكتشاف هذا الكيان.

تمهل "چاك" في تفكيره في الوافدة، شعر بشيء من الخطر، كانت حاسته السادسة في الشعور والتنبؤ بما هو قادم تسعفه في مثل هذه المواقف بعد حياة مليئة بالأخطار.

لكنه لم يشعر مطلقا بمثل هذه الرغبة التي في جسده أمام هذه المرأة والتي تشبه اندفاع "الأدرينالين" لتنبيه القلب.

ولكي يحاول اكتشاف الوافدة عن قرب، اقترب من "الدرابزين" الذي يفصل المشرب عن صالة لعب الورق في كازينو "رويال بهاما". لم تكن المرأة من النوع الشهواني، المثير، المرغوب فيه كما تخيل "چاك" للمرة

الأولى، ظل "چاك" يفكر في ذلك واضعا أصابعه على معدن "الدرابزين" ورغم ذلك صدرت منها دعوة جميلة أثناء تنهيدها بعمق، وتلألأت القطعة الذهبية الصغيرة التي تزين عنقها وتتدلى عليها خصلات الشعر الجميل الذي يحيط بوجه جميل شديد الاحمرار.

ويبدو أنها كانت تشعر أنها ملاحظة، التفتت الوافدة نحو المشرب مركزة بصرها مباشرة على "چاك". في لحظة دامت طويلا شعر بتأثير حرارة نظراتها العاطفية التي أشعلت المسافة بينهما.

ضغط بأصابعه على "الدرابزين" ولم يشعر إلا بصوت كالصدمة أعاد إليه انتصاب عموده الفقاري، قائلا:

-كاسك يا سيدي

تصلب "چاك" أمام النادلة التي قدمت له كوكتيله.

مشتعلة بنظرة الرجل، تاهت "نيلا" بعيدا في ذروة الانفعال أمام نظرات "چاك"

منذ أول لحظة التقت فيها عيونهما، أحست بشيء غريب ومؤثر أدارت رأسها، بينما احتدم قلبها . لم تشعر قط بمثل هذه المشاعر المثيرة والمخيفة في آن واحد.

وفي لحظة من الجنون، أيقنت أن الغريب قد انتابه نفس الشعور.

يا للسخرية! إن الرجال لا يتحركون بهذه الطريقة أمام العجوز التافهة، المبتذلة "نيلا شيفرد".

ومع ذلك ابتسمت مندهشة ومفتونة، وربما أثرت البهجة فيها.

لم تشبه قط العجوز المبتذلة "نيلا شيفرد" من "دان فيل" بولاية "فرجينيا". هذا المساء كانت مغوية، مضللة بهذا الفستان الذي يشد قامتها، مزينة بقرط كبير من الزمرد.

لم يكن أحد يستطيع أن يكشف أنها مستعيرة هذا الفستان وأن حذاءها قد مزق قدميها، أو أن الزمرد كان كذلك مزيفا مثل الصورة

www.alkottob.com

المزيفة التي كانت تبديها، وترسمها بجراة وإقدام

للمرة الأولى منذ قدومها للجزيرة، شعرت بابتهاج لسماع نصيحة صديقتها المفضلة "انچي" بان تاتي إلى "فريبورت" متخلصة من نظرات عطف الذين يريدون أن يقدموا لها صنيعا:

"اتركي همومك وانجي بنفسك"

ظلت عبارة "انچي" تتردد في رأسها. تذكرت الطريقة التي نظر بها الرجل الجالس على المشرب إليها يتفحص وجهها، شعرت بابتسامتها تتفتح على شفتيها. إذا كانت عرفت اسمه، لبعثت إليه بورقة صغيرة تشكره فيها على إعادته شعور الأنوثة لديها.

وكان الحظ في جانبها واتجهت "نيلا" بجراءة نحو إحدى ماكينات اللعب.

عندما دفع "چاك" الحساب وتناول مشروبه، كان قد توقف شعوره الداخلي بالخطر وكانت المراة ذات الفستان الأسود الضيق من القطيفة والستان قد اختفت من أمامه. قمع رغبته في متابعتها قائلا لنفسه: إن كل محطات التسلية بالجزيرة لها نصيبها من الفتيات الجميلات ومن الأفضل نسيان هذه المراة. رفع مشروبه إلى فمه وتناوله بهدوء وبدون رغبة منه. تكونت صورة المراة المجهولة في ذهنه وأمام عينيه اتحدت صورتها أمامه مع مشروبه ومع الشخصية التي تجسدها.

-لا، همس "چاك" وهو يهز رأسه.

لم تكن لديه النية أن يدفع اللعب إلى هذا الحد. لقد أمضى الساعتين الماضيتين في التجول داخل الصالات المختلفة بالكازينو وتعرف على تجهيزات الكازينو بمواضع المناضد ووصف المراة التي وقعت عليها عيناه عشوائيا ليلاحظها.

هذه النتيجة التي توصل إليها "چاك" لم تكن لها فائدة، فقد طوى هذه الصفحة من حياته. انتهى من مشروبه، وعند وضعه على المنضدة

رأى وجهه في المراة التي كانت خلف المشرب وقال محدثا نفسه "ماذا تفعل هنا هذا المساء؟ أجئت لتؤدي هذا الدور الهزلي؟

لماذا تشعر بالوحدة والضياع عند استقالتك؟

ذهب "چاك" إلى صالة اللعب بدون أن يجد مبرراً واضحاً لهذا الاحتياج الإجباري في البحث عن المراة ذات الفستان المخملي الأسود.

لم يبذل مجهودا كبيرا في البحث عنها، ووجدها أمام إحدى ماكينات اللعب. بدلا من أن يقترب منها في الحال، جلس في مكان يلاحظها فيه، ولا تستطيع أن تراه.

وضعت "نيلا" قطعة معدنية في فتحة الماكينة التي أعادت إليها الحياة وتوالت صور الفاكهة التي تخزنها في ذاكرتها إلى واضع النقود: ليمون، برتقال، كريز في تتابع جميل.

أعاد إليها لون الليمون الباهت والجرس الذي توقف عن الرنين ذكرى أزواج أمها الثلاثة السابقين، وأدار ذلك رأسها وهي تفكر في آخرهؤلاء الأزواج.

هذا المتخلف جاءت إليه فكرة ذات يوم أن يذهب ليقف بين شريطي القطار مؤكداً أن القطار سيمر بجانبه وراهن على هذه الفكرة، وذهب ليخسر رهانه ولم تقم له قائمة قط.

أما بالنسبة لأختها الكبرى فتتبع خطوات والدتها المدمرة بدون أي تغيير.

أمام هذه الذكريات المؤلمة تنهدت "نيلا" بحسرة ولم تجد أمامها سوى أن تجرب حظها وتلعب. لم تكن محظوظة أيضا في اللعب كما في الحب.

كانت هذه الأمسية الغريبة توشك أن تنتهي وكان يبقى لها تقريبا نصف ساعة من اللعب على ماكينات الألعاب الترفيهية، وينتهي ما معها من نقود خصصتها للعب.

www.alkottob.com

-هيا أجرب حظي للمرة الأخيرة.

وبالتفاتها اكتشفت خلفها الرجل الذي سبق أن رأته على المشرب. كان يبدو من بعيد كالولد الجميل الصغير، ولكنه كان أفضل من ذلك عن قريب.

كان وجهه الرجولي ذا قسمات شديدة من النوع الذي يستهوي المصورين والنحاتين. من تجعد الجلد أسفل عينيه شديدتي السواد، خمنت "نيلا" أنه في العقد الثالث من عمره.

كان شعره شديد السواد يزيد الشعور بالهالة التي تحيط به. كان يسدل شعره الممشط جيداً خلف جبهته العريضة معقوصاً خلف رقبته ويلفه برباط من الجلد.

كان هذا النموذج من الرجال هو الذي شغفت به أمها وأختها: الولد السيئ ابتداء من أذنيه المزينتين بالياقوت وحتى أسفل حذائه المصنوع من الجلد، وكان ذلك أيضا هو النموذج الذي ظلت "نيلا" تتفاداه طيلة عمرها.

-ما رأيك؟ سألته "نيلا" بأمل ألا يلاحظ انفعالها.

-هيا، جربي حظك مرة أخرى. أجابها بهدوء صوته الغليظ ونغمته الخافتة أشعراها بقشعريرة.

كانت تشعر بإحساس خطير أن عينيه السوداوين والتي يصعب الهروب منهما قد اتسعتا لها.

-لا، مستحيل، لقد أفلست، إني خاسرة عشرة دولارات، إنه ليس يوم حظي.

-إني أشعر أن الحظ سوف يدير لك وجهه.

ادعى "چاك ماديسون". ذلك... وشجعها مبتسما.

جملت الغمازة التي بخده الأيسر ابتسامته والتي تبدو أنها لصائد ينصب شراكه حول فريسته مما أرخى أعصاب "نيلا" وجعلها ضعيفة أمام الغمازات.

-"نيلا شيفرد" وانسالت نظراته إلى القطعة المعدنية التي في راحة كفه...

-أعتقد أنك خسرت كل مالك. لكن إذا كنت تصرين...

هزت "نيلا" كتفها ومدت يدها نحو القطعة المعدنية ذات ربع الدولار.

عندما مدت "نيلا" يدها إلى راحة كفه كانت يده تداعب خصلات شعرها المتهدل على كتفيها العاريتين.

كانت يده ساخنة، أحست بها على رقبتها.

في لحظة دوار، لم تتخيل "نيلا" هذه الأيدي وهي تمر على جسدها العاري. ما لبثت كثيرا حتى تحررت من هذه الأفكار المخجلة وقد أدخلت قطعة النقود في فتحة الماكينة.

هذه المرة، ثلاث كويزات شديدة الاحمرار ظهرت على شاشة الماكينة بجانب بعضها البعض واندفع سيل من أرباع الدولارات من الماكينة.

نظرت "نيلا" إلى "چاك" نظرة فاحصة، وقالت له مندهشة:

-لقد كسبت خمسة وعشرين دولارا. كيف استطعت أن تخمن ذلك؟

-لم أخمن، لقد تمنيت فقط.

ابتسمت له وهرع إلى مساعدتها في ملء كيس البلاستيك بقطع النقود المعدنية.

-هل تؤمن بالحظ حقيقة.

-بالحظ والعناية الإلهية، أعتقد فيها بفطرتي، ومع ذلك فإن أول انطباع لي عنك كان خاطئا.

-أي انطباع؟

-لقد اعتقدت من الوهلة الأولى أنك مقامرة.

-مقامرة! لماذا إذن...؟

لم تكمل جملتها.

قال "چاك" بنبرة فيها اعتذار:

-إنه فستانك الذي أوقعني في الخطأ.

www.alkottob.com

-لقد قالت لي "انچي" إنه جميل. انسالت عينا "چاك" على كتفي "نيلا" العاريتين وفتحة الصدر العميقة. وقال:

-إني لا أعرف من هي "انچي" ولكن مفهومها عن الشياكة يثير.. لم أستمر أكثر من دقيقة في تخيل أنك مقامرة، لقد أثرت اهتمامي كثيرا، وبملاحظتك تاكد لي أنك غير ما تبدين من الوهلة الأولى.

-كيف عرفت ذلك؟

تردد "چاك" قائلا:

-لست متاكدا من استطاعتي شرح ذلك... إن بك لطفا وحناناً ليس لدى النساء العابثات، وعندما تجاذبت معك أطراف الحديث لم تبدي لعوباً.

إذا كنت انتهيت من اللعب هذا المساء، فهل تحبين أن تشاركيني مشاهدة العرض المسرحي للكازينو هذا المساء؟

ابتلعت "نيلا" ريقها بصعوبة، كانت ترغب في الموافقة لكن حذرها الفطري كان يمنعها.

-إني لا اعرفك.

-اذهبي معي لتمضية بعض الوقت وسوف تتعرفين علي...

-ربما تكون متزوجاً ولديك كثير من الأطفال.

-لا، إني غير متزوج، وأنت كذلك، على الأقل خمنت ذلك اسمعيني، إذا كنت فتاة أحلامي فلن أتركك تغيبين عن نظري بهذا الفستان الذي ترتدينه.

-إذا كان الأمر يتعلق بمديح أو نزوة، إذن أشكرك

-لا يخلو الأمر من ذلك، وافقي أن تظلي معي.

ترددت "نيلا" المتشككة في أمر هذا الرجل. لابد لها أن تقاوم جاذبية هذا الغريب... لكن خارت قواها.

مرة أخرى فكرت في نصيحة "انچي":

"انجي بنفسك"

هل ستنجو حقا؟ هل يمكن لها أن تقبل دعوة نظرات "چاك" الخطيرة والمريبة؟ وإذا كان هذا الرجل من النوع السيئ الذي حاولت تفاديه طيلة عمرها؟

قرأ "چاك" في عيني "نيلا" هذه المشاعر المتقلبة بكل وضوح، كان امتناع المرأة يتعارض مع رغبته في متابعتها وكان يخشى رفضها. لم يكن من الرجال الذين يندمون لكن فطرته أكدت له أنه سيندم إذا ترك "نيلا" تبتعد وكان يتمنى أن يكتشف: لماذا هي تجذبه إليها هكذا؟

-هيا، إذن، تعالي معي. أؤكد لك أنك لن تتعرضي لمخاطر.

ردت "نيلا" دون أن تكون متاكدة - مائة في المائة - أن ذلك صحيح:

- آه. إني أعرف ذلك.

رغم ذلك، كانت ترغب في تصديق ذلك. كانت تريد أن تبدي شيئا من الجراة، كانت ترغب أن تظل معه فترة أطول.

-نعم. قالتها "نيلا" بشجاعة خوفاً من أن تغير رايها.

ابتسم "چاك" وأخذ بذراع "نيلا" متجها إلى صالة العرض بالكازينو.

شعرت "نيلا" أنه ضخم وأنه يفوقها يسيطر عليها.

بالرغم من أنه في واقع الأمر لم يكن طويلا عنها، كانت قامته معتدلة وكان يرتدي حذاء مدببا، لم تكن قامته هي التي أشعرتها بذلك. إذن ماذا؟ ربما كانت مشيته الرشيقة تشبه راقصات "نوكستروت" البطيئة.

-أعتقد أن العرض سيروق لك، استعراض باسلوب "لاس فيجاس" يرتدي العارضون ملابس "لاس فيجاس" المزينة بالريش والترتر... ويبدو لي الحاوي ماهراً في أداء عمله.

توالى الحديث بينهما حتى استقر بهما الحال على منضدة في وسط الصالة. علم "چاك" من حديثهما أن "نيلا" قد تركت منذ يومين إحدى المدن الصغيرة بولاية "فرجينيا" ونزلت في فندق "ملكة بهاما"

www.alkottob.com

حيث ينزل هو أيضا.

-ماذا تريدين أن تشربي؟ سأل "چاك" "نيلا" عند اقتراب إحدى النادلات منهما.

- بهاما ما ما.

- اثنان من فضلك.

تفحص "چاك" وجه "نيلا": عيناها رماديتا اللون، تتلألآن بلون الذهب، يشع منهما الذكاء والفضول، كانت شفتاها رقيقتين مغريتين إلى أقصى حد.

-"چاك" هل يمكن أن ألقي عليك سؤالا شخصيا وربما يكون سخيفا لأني لا أريد أن أخطئ تفسير شخصيتك؟

-هيا، لا تخجلي، إنني لست سريع التأثر.

انحنى "چاك" قليلا قبل أن يضيف:

-من ناحيتك، أنت أيضا، هل تسمحين لي بأن أسالك أسئلة شخصية؟

-إذا أردت، أجابت "نيلا" ثم اضافت:

-إني أشك أنك ستجد إجابات تهمك حتى هذا الوقت إني أحيا حياة ليس لها ماض أو تاريخ مهم.

-إني لأجد مشقة في تصديقك.

ضحكت وكان لضحكتها رنين مرهف في أذني "چاك"

صارت بضحكتها كاللهب الذهبي الذي تولد في عينيها عندما ضحكت وقالت:

- أؤكد لك ذلك، أمي وأختي عاشتا حياتهما مثل الإعصار وأنا في اثارهما أحاول عدم الغرق.

-هل تعيشان في نفس مدينتك؟

-لا، من حسن الحظ... وانطفا اللهب والبريق الذهبي في نظرتها

وأضافت: إني أحبهما كثيراً ولكنهما تقتلانني بجنونهما.

خفضت عينيها لتسأل "چاك":

-چاك، هل أنت لاعب محترف؟

ظهرت الغمازة كومضة على خد "چاك" الأيسر وقال:

-لا، يا "نيلا". إنني لا أتكسب رزقي من اللعب، إنه فقط الانطباع الذي تركته لديك.

-لقد نجحت أن تترك لدي هذا الانطباع... نظرة متشككة.

أجابها مبتسما: شكرا.

-هل هذا كل ما تريد أن ترد به علي؟ كيف أستطيع أن أعرف أنك تقول الحقيقة؟

مد "چاك" يده فوق يديها وأجابها:

-لأن هذه هي الحقيقة. إني أعرف أن لديك الرغبة في أن تصدقيني، كما تريدين أيضا أن تظلي معي. لكنك تخشين الثقة بي، إنك لا تجرئين على ذلك.

ردت "نيلا" بلهجة كما لو كانت تريد أن تدافع عن نفسها وتسحب يدها من تحت ضغط أصابعه التي مازالت تمسك بمعصمها:

-أنت واثق جيدا من نفسك!

-وجهك جميل جداً يا "نيلا" ولا سيما عيناك...

ترك يدها عندما وصلت النادلة بمشروبيهما، وعندما غادرتهما، وأصبحا وحدهما قال لها:

-"نيلا" ليس هناك ما تخشينه مني، إني أعدك بذلك. أبدت "نيلا" نفس الانفعال الذي ظهر عليها عندما التقت نظراتهما وكانت عيناه تبدوان لها كالذي نصب فخا محكما لفريسته لا تستطيع الفكاك، منه لكن هذه المرة لم تكن خائفة كما كانت من قبل، أيا كان "چاك ماديسون"، فهي تعرف أنه لن يؤذيها.

www.alkottob.com

رفعت مشروبها وقالت:

-هذه الليلة تعرض نفسك لنزوة.

- وأنت يا سيدتي ما نزوتك التي تعرض نفسها عليك؟

في "دان فيل" أعيش حياة تافهة حافلة بكل ما هو سيئ. إذن لمرة واحدة، أردت أن أمزح مؤدية دور المرأة العاطفية التي تجذب أنظار كل الحاضرين عندما تخطو خطوات قليلة.

كانت الحمرة تكسو وجهها وهي تتحدث إلى "چاك" الذى كان يهز رأسه كما لو كان يفهم كل شيء بالضبط.

-ألم تشعر أنني مثيرة للسخرية؟

أجابها "چاك" دافعا كوب "الكوكتيل" إلى فمه.

-مطلقا.. فلنشرب نخب أجمل امرأة في الصالة.

-شكرا، هذا جميل منك ولكنك لست في حاجة إلى أن تقول ذلك، إني أعرف أنني لست جميلة.

-إني أراك جميلة ولقد أدرت رأسي وشغلت فكري. منذ دخولك هنا، لم أستطع أن أحول نظري عنك، وتتبعتك للبحث عنك حتى وجدتك.

كانت نبرة صوته الهادئة، الراضية والمفعمة بالرجولة قد أشعرتها أنه يطلبها بطريقة غريبة وأجابته بهمس كما لو كانت تنتابها رعشة:

-نعم، لقد وجدتني. من أنت يا "چاك"؟

الفصل الثاني

تأسف "چاك" لما رآه في عيني "نيلا" من شك.

فهم "چاك" الآن لماذا أشعرته حاسته الداخلية بالخطر، كان شيئا غريبا، غير مفهوم انجذابه لهذه المرأة التي لا تعد ضمن الجميلات. كيف يمكن الآن أن يكسب ثقتها؟. لكسب ثقتها لابد أن يكون صريحا ويتصرف بصدق بدون استخدام طرق قد يمكن تفسيرها على نحو آخر مخالف لما يقصد. وضع "چاك" كوبه على المنضدة ونظر في عيني "نيلا" قبل أن يبدأ في الكلام. ثم قال:

-لقد كنت ضابطا في وحدة مكافحة المخدرات.

بدا على "نيلا" الراحة والرضا لعدم وجود نشاط إجرامي لها من قبل. وتابع "چاك" حديثه:

-ظللت أعمل في الظل لمدة خمسة عشر عاما، عملت تحت مسميات مختلفة، أحيانا ألعب دور رجل أعمال، وأحيانا أخرى مهرب حتى دور الراهب والقسيس قمت به. كان العمل صعبا لكنني أحببته. هذه كل

www.alkottob.com

حياتي. سكت "چاك" قليلا ليعطي للمرأة فرصة لتستوعب الصدمة قبل أن يضيف:

-اليوم من أنا؟ مواطن مثل الآخرين، أدفع الضرائب، أمتلك شقة في "ميامي" حيث لا أذهب إليها كثيرا، وسيارة "موستنج" بيضاء.

أسند "چاك" ظهره إلى خلف المقعد ليرى تأثير اعترافاته على "نيلا". كان قلبه يدق كما لو كان قد انتهى من العدو لمسافة طويلة.

اندهشت "نيلا" لثباتها وعدم خوفها أمام نظراته الثاقبة، الفاحصة، كانت تشعر أنه ينتظر حكما قاسيا من جانبها. وشكرت الرب في سرها أن هذه التجربة انتهت. كانت تريد أن تصيح من الفرح ، كانت فكرة أن "چاك" رجل من عالم الخائنين والغاشين أفزعتها. وهمست قائلة:

-إن هذا يفسر نظرة الشرطي في عينيك

-لي نظرة شرطي؟ أتخجلك هذه النظرة؟

-أبداً

أجابته "نيلا" ثم صححت موقفها أمام ابتسامته الغامزة.

-آه، بلى. إن هذا يخجلني. لدي الشعور أنك تحلل وتفهم كل ما يحدث حولك، وأشعر أنك تحتفظ لنفسك بكل ما تفكر فيه. متى تركت هذا العمل؟

-مؤخراً

شعرت "نيلا" بتوتر شديد من إجابة "چاك" المختصرة ورغبت في سؤاله عن المزيد في حياته. لكن الأنوار انطفأت وكان العرض سيبدأ بعد قليل.

أدار "چاك" كرسيه نحو خشبة العرض... أثناء ذلك لمس فجأة ساق "نيلا" مما أشعل بداخله رغبة عارمة. تلاقت نظراتهما. شعر بانبهار في الضوء الخافت الذي بينهما، أدارت "نيلا" عينيها، كان ما يجمعهما

أبعد كثيرا من الإعجاب الجسدي، كان شيئا محيرا، غامضا.

بدأ العرض وظهرت على المسرح ثماني راقصات يرتدين أزياء مزينة بالريش والترتر. لم يعرهن "چاك" أي انتباه وإنما ظل مهموما بالبحث والتفكير عن معنى لهذه الظاهرة غير الواضحة، والانجذاب غير المفهوم الذي يجمع بينه وبين "نيلا".

تفحص وجه "نيلا" وبدا عليه انجذابه الشديد نحوها، وما زاد اشتعال الرغبة في قلبه فستانها الذي كان يبرز مفاتنها.

كانت "نيلا" تشعر بأن "چاك" يلاحظها هي وليس العرض، نظرت إليه مترددة ولم يحاول "چاك" أن يخفي شعوره وإنما بدا عليه من خلال نظراته لـ"نيلا" كما لو كان يحاول أن ينقل إليها شعوره بالحب والإعجاب. شعرت "نيلا" بفزع وسرور ممتزجين ببعضهما البعض قلبا كيانها.

لم ينظر إليها رجل من قبل بمثل هذه النظرات، وقالت "نيلا" في نفسها كما لو كانت تكلمه: "تحدث، كن روحانيا وعاطفيا مثل انچي" تنهدت "نيلا" بشيء من الصعوبة. من جانبه كان "چاك" يحلم باللحظة التي تجمعهما معاً بمفردهما. نظرت إليه "نيلا" نظرة فيها حياء، بدت بها كما لو كانت إحدى الراهبات، ثم تساءلت عن حرفته: فأجابها "چاك" كما لو كان فهم ما تقصده:

- كما تحبين يا "نيلا".

-أنت لم ترد عليّ

- آسف، كانت حرفة ممتعة. وكان يحدث نفسه أنه ربما لم يشعر فيها بمتعة مثل ما يشعر بها الآن وهو بجانبها.

ثم أضاف:

- وهذا يشعرك أنك تعيشين مائتي مرة في الساعة الواحدة.

-من المؤكد أنك تشعر بالأسف لتركك هذه الوظيفة، أليس كذلك؟

www.alkottob.com

فاجأته بنفاذ بصيرتها وأجابها:

بلى.

ابتسمت كمالو كانت راضية عن نفسها وأضافت:

-إني آسفة يا "چاك"

-لقد تجاوزت المحنة. وضغط على يديها مضيفا:

- إنك تروقين لي كثيرا يا "نيلا شيفرد".

تلألأت عيناها بوميض من الفرح شعر به "چاك" ومما زاد شعوره بالسعادة أنه اكتسب ثقتها.

خلال ساعة، توالت عروض المغنين والراقصين ومنشدي الأشعار وأخيرا الحاوي الذي ألهى المشاهدين بحيله البارعة. لكن "چاك" رأى في "نيلا" أنها فاتنة أكثر من العرض لاسيما عفويتها الطبيعية.

عند الخروج من العرض، تأكد "چاك" وراهن بحياته أن الشيء الوحيد المزيف في المرأة لم يكن سوى زوج الزمرد الذي يتدلى من أذنيها. لم يشعر بأدنى رغبة في تركها وازداد إعجابه بها في كل خطوة يخطوها معها.

عندما توقف "چاك" فجأة نظرت إليه "نيلا" متسائلة بعينيها، وبدون أن ينطق بأي كلمة أخذ بيدها واتجه إلى المشرب.

-چاك، ماذا...

قبل أن تكمل رفع "چاك" أصابعه إلى شفتيها لتصمت. وقال:

- لا أريد أن ترحلي. أريدك أن تبقي هنا.

-إني وافقت فقط على مشاهدة العرض معك...

-فقط ساعة واحدة... أليس لديك الرغبة؟ يمكننا الحديث قليلا أو الرقص معا.

-لا أعرف إذا كان ذلك من الحكمة.

-لا يهم إذا كان أم لا.

لزمت "نيلا" الصمت. كانت مشدودة بنظراته العاطفية وصوته الرقيق الذي يبعث على الخضوع والإذعان. في وسط هذه المشاعر الجياشة كانت "نيلا" لا تثق كثيراً فيما حولهما، وتشعر كما لو أن شبكة صياد ماهر تلتف حولها، نجح "چاك" في إبعاد هذه الأفكار عنها بتعبيره نحوها.

عندما لمس يدها أحست بقبلة خفيفة على جلدها.

-"چاك". إني أرجوك.

همس چاك ويده تتسلل إلى خدها شديد الاحمرار:

- ماذا ترجين مني؟

أغمضت عينيها في محاولة يائسة لإبعاد هذا الألم النفسي اللذيذ، لم ينجح ذلك في إبعاد "چاك" عنها، والذي بادرها قائلا:

- منذ أول لحظة رأيتك فيها عرفت أنه سيجمعنا شيء ما. ألم تشعري بذلك أيضا؟ إني في شوق أن أعرف ذلك منك.

أجابته باضطراب:

- لا تنظر إلي هكذا.

استعلم منها "چاك" بابتسامة خفيفة:

-مثل ماذا؟

-توقف عن ملاحظتي والنظر إلي كما لو كنت فتاة ليل..

-إني لاحظتك طويلا ولم تشعري بي، والآن أحاول أن أعبر لك عن عواطفي.

أجابته وهي تهز رأسها مطلقة ضحكة خفيفة:

-انس ما قلته لك. إني لا أتحمل ذلك.

-إذا أردت...

وظهرت عليه ابتسامة الرجل العاشق وأضاف قائلا:

-بهدوء يا "نيلا" إن الجنة هي الشيء الوحيد الذي يجمعنا معا حين نكون وحدنا. هل ترغبين في قضاء الليلة القادمة معي في الجنة؟

www.alkottob.com

فكرت "نيلا" في كلامه وقالت لنفسها "كم أنت خطير يا "چاك ماديسون" لكني هذا المساء قررت أن أتغير".

قطع "چاك" تفكير "نيلا" قائلا لها:

-قولي: نعم، لقد وعدتك أنك لن تتعرضي لمخاطر، ساوصلك إلى حيث تريدين.

أجابت بنشوة:

-نعم

بعد عدة دقائق، خرجا سويا في ظلام الليل متجهين إلى الفندق حيث نزلا معا.

كان الجو في هذه الليلة من ليالي شهر نوفمبر شديد البرودة كما هو الحال في المناطق الاستوائية والتي يتميز فيها النهار بحرارته والليل ببرده القارس.

شعرت "نيلا" بقشعريرة من برودة الجو، لاحظ ذلك "چاك" فخلع الچاكيت الثمين الذي يرتديه وغطى به كتفيها مما أشعرها بالدهشة والسعادة معا.

اجتازا الحديقة وسط صمت تغلفه السعادة حتى وصلا إلى مكان فسيح تعزف فيه الأوركسترا. شعرت "نيلا" برجفة تسري في جسدها وقادها "چاك" حتى منضدة على حافة مكان الرقص.

تقدمت منهما نادلة بمجرد جلوسهما. سأل "چاك" "نيلا" إذا كانت ترغب في أكل شيء، فأجابته بانها تريد مشروب "البهاما ما ما".

بدا لهما المشروب في هذا المكان أفضل من سابقه وأغمضت "نيلا" عينيها وأرخت الموسيقى أعصابها ومداعبة الريح للنخيل والشذى الذي يملأ الجو من الورود الاستوائية...

حتى لو عاشت حتى تبلغ المائة من عمرها، فلن تنسى هذه الليلة الرائعة. إن الحلم قد أصبح حقيقة وجزءاً منها، تتمنى ألا تنتهي

الليلة.

فتحت عينيها وابتسمت لـ"چاك"، فنهض ودعاها للرقص.

-إني لست راقصة ماهرة ولكني ساحاول.

مد "چاك" يده واحاط بذراعيه كتفي "نيلا" نازعاً الچاكيت وهما متجهان نحو قاعة الرقص.

-إنك سريع كالنسر الذي ينقض على فريسته.

-عفوا

-ليس لديك شعور بالندم لما نفعله.

-هذا حقيقي...

اقترب "چاك" من جبهتها ووضع عليها قبلة خفيفة. كان "چاك" يبدو أنه رجل واثق من نفسه مما زاد انجذاب "نيلا" نحوه لقلة ثقتها بنفسها.

في حلبة الرقص، تعلقت "نيلا" بعنق "چاك" وظلا يتدافعان ويميلان مع الموسيقى يمينا ويساراً.

شعرت "نيلا" بالثقة ووضعت رأسها تلقائيا على كتف "چاك".

شعر "چاك" بأن "نيلا" قد أصبحت في حوزته مع إيقاعات الموسيقى، وعندما رفعت عينيها إليه، استغل الفرصة ليروي ظمأه وطبع قبلة على شفتيها.

لم تتمالك نفسها. بدا لها أنه لم يحن الوقت بعد، لكنها كانت ترغب في ذلك، واستسلمت له في تاوه.

ظلا مكانهما وجها لوجه وسط الراقصين.

وضح خضوع "نيلا" الكامل لـ "چاك"... خلال ثلاثين عاما لم تشعر المرأة بمثل هذه المشاعر الفياضة أو بمثل هذا الإغراء.

تاوه "چاك" بحرارة:

-"نيلا".

www.alkottob.com

-هذا غير حقيقي. لابد أني أحلم. ربما يكون هذياناً.

ماذا يضعون في هذا المشروب "البهاما ما ما" أكثر من الفاكهة؟

تنهد "چاك" واضعا شفتيه على جبينها وقال:

- لكني أؤكد لك أن وجودي هو الأكثر نشوة.

أسندت رأسها إلى كتفه مبتسمة من السعادة.

كان الليل يمر سريعا واللحظات السعيدة تتسارع.

مع آخر نغمات الأوركسترا بدأ الناس يختفون، ولكن "چاك" و"نيلا" تابعا رقصهما الذي تحول إلى رقصة "السلو" الهادئة.

-إن الموسيقى قد توقفت.

-حقيقة؟

-نعم، لابد من العودة إلى المنضدة.

-إذا أردت.

لم تكن لديهما الرغبة ولكن لم يكن هناك شيء آخر يفعلانه. فكت "نيلا" يديها التي أحاطت بعنق "چاك"، واتجها إلى المنضدة وبادرها "چاك" قائلا:

-إني لا أرغب أن أظل هنا، وأنت يا "نيلا"؟

كان من الصعب عليها التفكير في ظل موجة عارمة من الرغبة، فلم تستطع أن ترد، أو أن تفكر كل ما كانت تعرفه أنها كانت ترغب هذا الرجل كما لم ترغب إنساناً من قبل.

لزمت الصمت وهي تجمع حقيبتها وكيس النقود التي كسبتها مرة أخرى أحاط "چاك" كتفيها بالجاكيت ثم بذراعيه اللتين تبدوان كما لو كانتا تحميانها من الأخطار. وبدون أن ينطقا بكلمة واحدة اتجها إلى الممر ذي الرخام الوردي.

الفصل الثالث

في سكون الليل الحار الاستوائي، شعرت "نيلا" برأسها يدور مثل "الروليت"، وبدا لها الجو الذي كانت تشعر ببرودته حاراً، ثقيلا كانت دقائق تكفي ليصلا إلى الحجرة التي يؤجرها "چاك" في الدور الأول من الفندق حيث ينزلان. عندما هم "چاك" بوضع المفتاح في الباب كانت "نيلا" في قمة انفعالها. دخلت إلى الحجرة مرتجفة الساقين وتابعها "چاك" بدون أن يقول كلمة.

شعرت "نيلا" بالهلع عندما أغلق "چاك" الباب، كانت دائما فتاة جادة، لم تترك نفسها من قبل للإغواء والخطر المحدق الذي تشعر أنه يهدد سعادتها.

وضعت "نيلا" حقيبتها وكيس العملات التي كسبته بجانبها وعلقت:

-إن لي نفس الحجرة

ابتسم "چاك معلقا:

www.alkottob.com

-نفس السرير، المنضدة، كرسيين، صُوان

كانت البراءة والاضطراب اللذان يظهران على "نيلا" يشعران "چاك" بنشوة وقوة لرجل مجرب مثله.

كانت خائفة، مضطربة، وكان "چاك" يبدو لها رائعا بشعره الذي يسدله على كتفيه بعد أن خلع الرباط الذي كان يجمع به شعره، كان يبدو كالفارس الذي يستعد لتحقيق كل أحلامه، وكانت "نيلا" تبدو له كأرق ما تكون المرأة.

كان الشعور بعدم الأمان الذي يسيطر على "نيلا" يكاد يقترب من الهلع، وكان ذلك يمنعها من مجاراة "چاك" شعوره بالرغم من الرغبة العارمة التي كانت تجتاحها.

-"نيلا" إني لم أحلم بامرأة مثلك قط. أليس لديك نفس الشعور إذن...؟

ترددت "نيلا" في الإجابة وحار "چاك" فيما يجب عليه عمله ليشعرها بالأمان، فبادرها قائلا:

-أتشعرين بالخوف معي...؟

ضحكت المرأة ضحكة مضطربة وقالت:

-إنك لا تشعرني بالخوف ولكن الخوف بداخلي أصلا. لم أتعود - حقيقة - على ذلك... إن ما فعلته اليوم جديد علي تماما.

احمر وجه "نيلا" وشعرت بسخونة جسدها من أعلى رأسها وحتى أخمص قدميها. أضافت:

-أتعرف... لم أمر بهذه التجربة العاطفية من قبل.

وضع يده على ذراعها وجذب وجهها القرمزي نحوه بكلتا يديه قائلا:

-إنك امرأة جميلة... رائعة...

تملكتها رغبة عارمة ولم تستطع المقاومة ووجدت نفسها بين ذراعيه كالطفل الرضيع في حضن والدته.

شعرت "نيلا" بأن "چاك" حقق كل أحلامها وكان الشعور بالسعادة يغمرها لأول مرة في حياتها، كانت تشعر بلذة لانهاية لها. وأمام نظرات الإعجاب والاستحسان لم يتمالك الرجل إلا أن يمتلكه الشعور بالقوة والغرور.

نظرا إلى بعضهما البعض طويلا وذهبا في سبات عميق.

أفاقت "نيلا" مع ضوء النهار الباكر. وشعرت بذراع "چاك" تحوطها. وجدت صعوبة في أن تتخلص من ذراع "چاك" الثقيلة التي كانت تبدو كما لو كانت تقيدها. مر بخاطرها ما دار بينهما ليلة الأمس... كان "چاك" لا يزال يغلبه النوم... نظرت "نيلا" في قسمات وجهه الصارم وشعرت بفداحة الجرم الذي ارتكبته، زاد من شعورها بالذنب أنها تابعت رجلا لم تكد تتعرف عليه إلا منذ وقت قليل، ولم تشعر نحوه بأي عاطفة من قبل، وتسلل إليها الخوف حينما فكرت في الطريقة التي كانت عليها ملقاة بين ذراعي هذا الغريب. كم هي حمقاء! وفي لحظات كرهت نفسها وكرهت هذا المدعو "چاك".

ورددت في نفسها "لا، إني وحدي المخطئة".

شعرت بالاشمئزاز من نفسها وأغلقت عينيها وفكرت كيف تخرج من هذه الورطة؟

كانت أنفاسها تتردد بين جنبيها بصعوبة وخوف وهي تحاول التخلص من ذراع "چاك" التي تحوطها والتي كانت تبدو لها وكأنها سلاسل حديدية تكبلها لجرمها وخطئها. وضعت "نيلا" يدها على مرفق "چاك" الذي همهم، لكنه لم يستيقظ، ثم رفعت ذراعه برفق عنها وتسللت رويدا رويدا حتى بعدت عنه ونزلت من السرير

ارتدت ملابسها سريعا راجية من الرب أن يظل "چاك" في سباته العميق. كان يجب ألا يستيقظ ويكتشف أن المرأة التي لاطفها بالأمس لم تكن سوى... حمقاء، مكبلة بالعقد النفسية.

www.alkottob.com

عندما وصلت إلى باب الحجرة تنفست ثم وقفت والقت نظرة على الحجرة والسرير حيث يرقد "چاك". ولمدة لحظة، تبدل خوفها برغبة عارمة وألم بقلبها حزن مفعم.

ابتسمت ابتسامة حزينة وأرسلت بيدها قبلة أخيرة إلى حلمها الرائع.

استيقظ "چاك" في موعده الذي تعود أن يستيقظ فيه كعادته وتملكته الدهشة: لم تكن "نيلا" أولا بجانبه ، ثانيا - لقد نام بهدوء وعمق بدون أن يفيق على هذا الحلم المزعج.

وثالثا - لقد شعر بانطباع من الفراغ غير المحتمل بدون المرأة. جلس "چاك" على السرير وأخذ يتفحص الحجرة بعينيه. لقد اختفت كل الملابس النسائية. كان واضحا أن "نيلا" قد رحلت.

صدمة غير متوقعة أعجزته عن الحركة، كان يستعد للنهوض عندما وقعت عيناه على الشيء الوحيد الذي خلفته "نيلا" وراءها: كيس النقود التي كسبتها في كازينو "بهاما الملكي." بدا الأمر لـ"چاك" كما لو كانت "نيلا" قد تركت ما ربحته على المنضدة كمقابل لما شعرت به من سعادة في ليلة الأمس. مد "چاك" يده إلى التليفون ورفع السماعة وطلب من عاملة التليفون أن تصلة بحجرة "نيلا"، بعد دقيقة وصل إليه صوت عاملة التليفون تخبره بأن السيدة "نيلا شيفرد" قد تركت الفندق منذ نصف ساعة مضى. شعر "چاك" بالألم والوهن اللذين حلا محل غضبه واستنكاره لما فعلته "نيلا".

لم يكن الأمر بينهما مجرد قضاء ليلة جميلة فحسب، لقد شعرا أنهما يتقاسمان كل شيء سويا. فكر "چاك" في ملاحقة "نيلا" ولكنه شعر بأنه لن يدركها.. لاسيما أنه لا يعرف إلى أين اتجهت. شعر بالألم وتساءل في نفسه.

"لماذا هربت؟ ألم تشعر أو تفهم أنها أصبحت جزءاً مني؟

إني في احتياج إليها... إلى عذوبتها ورقتها".

لقد استطاعت أن تبعد عنه الكوابيس التي كانت تطارده. أغلق

عينيه وتملكه شعور بالاشمئزاز. لا أحد - حتى صديقته السابقة - يعرف كيف يعيش الخوف والرعب اللذين يطاردانه في أحلامه المزعجة التي تذكره بما حدث في إحدى صالات "ميامي" المشهورة.

استطاعت "نيلا" أن تبعد عنه هذه الكوابيس. رفع "چاك" سماعة التليفون وشرع في طلب الرقم:

-صغيرتي الجميلة. إنه أنا

كانت "راي جارسيا" امرأة صغيرة الحجم، فاتنة، تملك عينين سوداوين وكان أصلها "ايرلندي- كوبي"، لم تكن امرأة شريرة ولكنها ثرثارة.

أجابها "چاك" مبتسما:

-يا مجنون! أين أنت؟ وكم الساعة؟

-الثامنة صباحاً. وأضاف:

إني في "فريبورت" أطارد مهربين طوال الليل.

- نعم ... أعتقد أنك تركت المهنة.

-نعم تركتها... اسمعي يا "راي" إني أريد أن أعرف أكبر قدر من المعلومات عن امرأة تدعى "نيلا شيفرد"، كل ما أعرفه عنها أنها تعيش في مدينة "دان فيل" بولايه "فرجينيا"... هذا أمر شخصي.

-أمر شخصي! ولماذا لا تقوم به أنت بنفسك؟

مسح "چاك" وجهه بيده وشعر أنه كالأحمق ثم أجاب:

-أريد ذلك، ولكنها تركتني هذا الصباح... إني أجهل عنوانها ووظيفتها.

رنت ضحكة "راي" في أذنيه قبل أن تصله إجابتها:

-يا لك من مجنون! أفقدت سحرك؟

-إني أعتمد عليك. تنفس "چاك" كما لو كان يشعر بالإحباط.

وضع "چاك" سماعة الهاتف بينما كانت ضحكة المرأة ترن في أذنيه.

www.alkottob.com

الفصل الرابع

عادت "نيلا" إلى "دان ڤيل" في مساء الأحد. كان الفزع الذي دفعها للهروب من جزر "البهاما" في الصباح قد تحول إلى إرهاق. شعرت بالاشمئزاز من نفسها. كيف تصرفت بمثل هذا الغباء؟

وفي تنهيدة عميقة كما لو كانت تواسي نفسها، فتحت باب منزلها. لم يبد لها المنزل من قبل مرحبا ومستقبلا مثل ما هو عليه الآن. تركت خطابات البريد والرسائل التليفونية على جنب وذهبت لتستلقي على السرير مفعمة بالانفعال والتعب بعد أن أخذت حماما دافئا سالت فيه دموعها بغزارة.

تدثرت تحت غطاء السرير وتناولت مرآتها الصغيرة ونظرت فيها. كانت عيناها تبدوان شاردتين، واسعتين، منتفختين، وشديدتي الاحمرار، كان وجهها يبدو مثل وجه الأطفال في إعلانات "اليونيسف" لم يبق من المرآة التي كانت ملقاة بين ذراعي "چاك" شيء. كانت تتمنى أن تكون من تنظر إليها شخصا آخر غيرها.

- همست مسدلة جفونها: "مغامرة"!

لقد تركت لنفسها العنان بشكل لا يغتفر منذ دخولها الكازينو. من الصعب أن تخدع نفسها بالاعتقاد أن "چاك" قد خدعها. إذا كانت قد رفضت، كان سيحترم إرادتها... كانت تعرف ذلك لكن الحقيقة أنها هي التي رغبت في ذلك... رغبت أن ترتمي هكذا بين ذراعيه. لم يكن سوى أداة لتحقيق رغبتها في أن تشعر أنها جميلة، مرغوبة، حرة في الوقت الحالي، كان يبدو لها هذا التصرف سليما... لكنها ارتكبت خطأ فادحا... بقربها منه لتعطيه قلبها ونفسها. كانت "نيلا" دائما تشهد آلام هجرة الرجال لأمها وأختها، وكانت تعرف أنها لن تتحمل مثل هذه المخاطر العاطفية. أطفأت نور الأباجورة وكان "چاك" يشغل كل تفكيرها ماذا يراها الآن؟ كيف يفكر فيها؟ لاشك لقاء عابر... من المؤكد أنه استيقظ هذا الصباح شاكرا حظه؛ أن وجد نفسه بمفرده في غرفته ووجدها رحلت.

صباح الاثنين استيقظت "نيلا" بصعوبة من النوم... استعدت للنزول لتفتح كالمعتاد حانوت الكتب والهدايا والأنتيكات الصغيرة الذي تمتلكه أسفل مسكنها.

أول شيء قالته صديقتها "انچي باركر" الموظفة الوحيدة لديها في الحانوت عند دخولها:

-ماذا تفعلين هنا؟ كنت أعتقد أنك الآن مستلقية تحت حرارة الشمس على شاطئ البحر.

كانت "نيلا" وهي واقفة خلف خزانة النقود قد عزمت على ألا تبوح بما دار بينها وبين "چاك ماديسون" في مساء السبت وأجابتها:

-اشتقت لبلدتي.

-كلما أفكر أنني هممت بالحجز لك في أفضل فنادق جزر "البهاما" وأنني أعرتك أفضل رداء لدي... إنك مدينة لي بتفسير لذلك... مدت

www.alkottob.com

"انچي" يدها في حقيبتها واخرجت علبة سجائر واشعلت واحدة.

-اعتقد انك رجعت مرة أخرى للتدخين.

-نعم... سحبت نفساً عميقا من سيجارتها وأضافت:

-كنت ارعى المتجر... لكن ان اراك هنا فإن ذلك يغير كل خططي.

-إن الجنة هي المكان الوحيد في العالم الذي يجمعنا سوياً حين نكون وحدنا.

في رعشة ادركت "نيلا" انها تردد عبارة "چاك" كلمة بكلمة صاحت "انچي" وقد امتلأت عيناها الزرقاوان بالعطف والشفقة:

-يا مسكينة! كان يجب أن أرحل معك.

أطفأت سيجارتها في الطفاية التي على الكونتر واخذت بيد صديقتها وحنت عليها بعطف:

-كنت اتمنى أن تقابلي في رحلتك رجلا بمفرده يعرف...

إني آسفة يا "نيلا"

شعرت "نيلا" للحظة انها مذنبة ولكنها كانت غير قادرة على الاعتراف لصديقتها بما حدث.

ابتسمت وقالت لها:

-لا تقلقي من ذلك، فانت الشخص الوحيد الذي اثق فيه ليرعى الحانوت أثناء غيابي.

رن جرس المدخل وانفتح باب الحانوت وظهرت عمة "انچي" الآمرة "كلوفر نورفيل" وبادرت "نيلا" بلهجة حادة:

-"نيلا" ما الذي أتى بك إلى هنا؟

ردت "انچي" على عمتها بعد أن القت عليها تحية الصباح:

-لقد شعرت بالحنين إلى البلدة...

عانقت "كلوفر" ابنة اخيها واتجهت صوب الإبريق الذي تعده "نيلا" للشاي والقهوة ووجهت حديثها إلى "نيلا" قائلة:

-ماذا عندك لنا اليوم يا "نيلا"؟

ردت المرأة الشابة وقد تعلقت عيناها بالقبعة العتيقة التي ترتديها المرأة العجوز:

-"كلومبيا سوبرمو" كان يعلو القبعة فوق عين "كلوفر" اليمنى باقة من الورد البنفسجي اللون. نجحت أخيراً "نيلا" أن توجه حديثها إلى "كلوفر" بدون أن تضحك.

-قبعة جميلة.

ردت "كلوفر" عليها وهي تعد فنجاناً من مشروب "الكلومبيا":

-لا تغيري الحديث...

ثم أضافت بلهجة حادة:

-هل استطعت أن تجتازي محنتك بعد أن فقدت هذا القذر "فرانك تات"؟

كانت "كلوفر" على مشارف عامها الرابع والستين، وكان هذا يعطيها الحق في أن تقول ما تريد بدون مواربة أو خجل.

وقبل أن تستعد "نيلا" للإجابة سارعت "انچي" لنجدتها قائلة لعمتها:

-كيف يمكنك أن تكوني هكذا قاسية القلب وحادة؟

-إنني لا أتوجه إليك بالحديث يا "انچي"

-الا ترين أن "نيلا" لا تريد سماع أي شيء عنه؟

-لقد سالتها سؤالاً بسيطاً.

-إنك تفسدين الأشياء.

ابدت "نيلا" عدم اكتراثها. بحديث المراتين. لم يكن ما اثار غيظها كلام "كلوفر" الصريح، ولا هجر خطيبها لها وإنما شعورها بانهما لم تعطياها الفرصة لتتحدث عن نفسها.

كان رد "انچي" عنها أمراً طبيعيا وعادياً: فقد اعتادت "انچي" على ذلك

www.alkottob.com

وهي كذلك، لكن للمرة الأولى في عمر صداقتهما تشعر "نيلا" بالصدمة. كانت منذ طفولتها لا تجيد فن الحوار وتخطئ دائما في عرض وتفسير وجهة نظرها. إن الوقت لم يمض حتى تظل إمعة.

استجمعت كل قواها وقالت بقوة:

-اصمتا، هذا يكفي. لقد مللت من الاستماع إليكما. سكتت المرأتان ونظرتا إليها. "كلوفر" بعين تملؤها الدهشة و"انچي" بدا عليها التأثر والحزن.

وجهت "نيلا" حديثها لصديقتها "انچي" لتعلن استقلالها:

-إني أحبك بشدة يا "انچي"، لكني أستطيع أن أتحدث عن نفسي، بالنسبة لـ"فرانك" فإني قد شفيت من دائه. يستطيع أن يذهب إلى "لاس فيجاس" ليلهو مع عشرات من سكرتيرات البنك الذي يعمل فيه إذا كان ذلك يحلوله. إننا لم نخلق لبعضنا البعض. إني لا أحب أن يهملني أحد ولكنه لم يكسر قلبي.

وعندما بدأت قواها الجديدة تخور تحاملت على نفسها لتضيف:

-وفي الوقت الراهن. فإن المناقشة قد انتهت.

علقت المرأة العجوز على كلام "نيلا" وهي تجلس بثقل على كرسي وفي يدها الكوب:

-يروق لي كثيرا موقفك الجديد يا "نيلا" أقسم بذلك...

ثم أضافت وهي تهز رأسها:

-إن الرجال ليسوا سوى رعاع يصرفون نقودنا، ويفسدون حياتنا لقد كررت ذلك ألف مرة لوالدتك واختك لكن "إيما" و"ماري" كانتا مهووستين بالرجال كانتا تعتقدان أنهما يتعلقان بعصفور فريد، ولكنهما كانتا تقعان على غربان أما أنت فإني أؤكد أنك أكثر تعقلا منهما أعرف ذلك.

اضطربت "نيلا" الحقيقة أنها لم تكن أكثر تعقلا منهما. كانت

مخطوبة لموظف بنك منسق، تركها ليجري وراء امرأة أخرى، سكرتيرة يبدو عليها أنها بلهاء، ربما تزوجا في "لاس فيجاس".

ولما جرحت في مشاعرها هربت إلى جزر "البهاما" لتداوي كبرياءها المطحون وتتعلق بعنق أول مخادع أو مجامل لها.

دارت بخلد "نيلا" هذه الأفكار حينما أعادها إلى وعيها صوت "كلوفر" الاستنكاري:

-"انچي" إن ما ترتدينه لا يستر.

كانت نظرتها الفاحصة الرافضة تتفحص "انچي" التي ارتدت "كولون" أسود اللون يشبه ما ترتديه الراقصات و"بلوفر" يكاد يغطي أعلى فخذيها بصعوبة.

-إني أشعر بالخجل إذا ارتديت مثل هذا وسط الناس. أضافت المرأة العجوز.

-أما أنا فإني أخجل أن أرتدي مثل قبعتك.

أجابتها "انچي"

-إنها تخص أختي "كورالي" كان لديها ذوق.

ردت "انچي" محدقة بعينيها في السقف:

-إن عمتي "كورالي" ترقد في المدافن منذ حوالي عشرين عاما.

ابتعدت عنها "نيلا" وهي تهز رأسها. ارتدت نظارتها الكبيرة ووضعتها على أنفها، وذهبت لتدرس طلبها واحتياجاتها لعيد الميلاد المجيد.

ما كاد النهار ينتصف حتى كان خبر رجوعها إلى المدينة الصغيرة قد انتشر في كل أرجاء البلدة، توالى عليها زبائنها المقربون ليعربوا لها عن أسفهم ومجاملتهم لها عن تصرف وسلوك "فرانك تات" المشين والمخجل. كان الحديث يمتد بينها وبين زبائنها حول مذاق الشاي والقهوة وكانت تعتذر بأدب عن كل العروض التي تقدم لها للتعرف على

www.alkottob.com

أعزب من هنا أو هناك معربة عن شكرها وتقديرها للذين يريدون الوقوف بجانبها.

توالت الأيام الأربعة التالية على نفس هذا المنوال الرتيب الذي أرهق "نيلا" وجعلها تتمنى الموت على أن تشعر بدور الضحية؛ إذ كانت ترى في نفسها القوة والشجاعة لتتحمل الصدمات والنتائج المتوقعة وأوشكت أن تعلن في صدر الصحف المحلية أنها التقت بالرجل الذي حقق أحلامها الأكثر جرأة، وأنه لا يشبه مطلقا ولا يتصرف مثل - التافه - "فرانك تات"

أشرف مساء السبت على الانتهاء ولم تكن "نيلا" قد أعدت بعد احتياجاتها لعيد الميلاد، كان ذهنها وتفكيرها مشغولين بـ"جاك ماديسون" أكثر من "المارونج جلاسيه" و"الشوكولاتة"

كيف استطاع هذا الرجل - الذي لم تعرفه إلا منذ وقت قليل - أن يشغل بالها وتفكيرها هكذا؟

ظل هذا السؤال يتردد في جنبات قلبها وحرمها النوم ليالي طويلة. أيقنت أنها أخطأت، ولابد أن تنسى هذا الموضوع، عزمت على ذلك لكنها كانت على يقين أنها تركت جزءاً من قلبها في حجرة فندق "البهاما".

كانت أمها ستسعد كثيرا أن تعلم أن ابنتها الصغرى لم تكن نموذجاً للحكمة والعقل.

في هذا المساء وفي السادسة إلا الربع توقفت سيارة "موستنج" بيضاء يقودها "جاك ماديسون" على بعد أمتار من بوتيك كتب، وهدايا ومنتجات غذائية" تمتلكه "نيلا شيفرد".

في هذا الشارع القديم، كانت كثير من الڤيلات قد حولت الطابق الأول بها إلى محلات تجارية كما فعلت "نيلا".

ظل "جاك" يفكر في الأسلوب الذي يتقدم به إلى "نيلا" حتى لا يثير

هلعها، لكنه قرر أن يدرس المكان أولاً قبل أن يقدم على هذه الخطوة. كانت "راي" قد قامت بعمل ممتاز: "نيلا شيفرد" يجب أن تكون على بعد خطوات خلف "الڤاترينات" الأنيقة.

في السادسة إلا عشر دقائق خرجت امرأة ضخمة، شقراء من البوتيك ونظرت نظرة شكوك لا ينقصها الفضول - إلى "جاك" وسيارته. عبرت الشارع والتقت بسيدة عجوز ترتدي قبعة تثير السخرية ووقفتا تتبادلان الحديث حول السيارة "الموستنج" وراكبها وسط حديقة منزل كبير مزين بزجاج مزخرف.

فتح "جاك" باب سيارته قائلا لنفسه "إن الوقت حان لكي أذهب" كان "جاك" يعرف أن "نيلا" قد اتخذت من الدور الأسفل من مسكنها متجرا ومكتبة، وشاهد من خلال الڤاترينة اليمنى أن المكتبة تشغل الجزء العلوي من المتجر.

لمح "جاك" خيال امرأة قبل أن يراها واقفة بين صفين من الكتب. لابد أنها "نيلا". في البداية لم يعرفها، إن لها حياة جميلة وليست كما تدعي حياة تافهة. لم يكن يتخيل أنها تخفي جمالها وإحساساتها العاطفية الرائعة خلف الملابس الفضفاضة ونظارة القراءة.

همس "جاك" مبتسما:

-يمكنك أن تهربي يا "نيلا" لكنك لن تستطيعي أن تخفي عني حقيقتك.

دفع "جاك" باب المتجر مقرراً أن يطلب المرأة التي تخصه. كانت "نيلا" ترتب آخر إصدارات الروايات البوليسية في خانة قصص "الغاز" عندما سمعت صوت مزلاج الباب.

-لقد انتهيت توا...

كانت "نيلا" تعتقد أن "انچي" عادت بابنها "ميل" من حديقة عمتها "كوڤر" وبادرتها:

www.alkottob.com

-هل نجحت في أن تنتزعي ابنك من أحضان الغابة؟

-مساء الخير.. يا "نيلا"

كان الصوت مألوفا لديها. وسببت لها هذه الكلمات البسيطة صدمة وإنذاراً بالخطر... دارت ببطء.. كان "چاك ماديسون" واقفا في مدخل الحانوت مثل الحارس؛ كان يرتدي قميصا رياضيا أسود اللون وكذلك حذاء، كان يبدو رائعا مثلما كان في تلك الليلة التي التقيا فيها.

صعقت "نيلا" بقدرها المحتوم وتساءلت في نفسها: "كيف استطاع هذا الشيطان أن يتبع آثارها؟ إنه يفحص الآن متجرها".. فجاة وقعت عيناه الفاحصتان عليها وتلاقت نظراتهما.

"ألا يوجد ملجأ أمام هذه النظرات الساحرة؟" تساءلت "نيلا" في نفسها وقد قفزت ذكريات ليلة تلاقيهما إلى ذهنها.

بادرها "چاك" بالسؤال، ناظراً إليها نظرة فاحصة اقشعر لها بدنها:

-لماذا هربت؟

وأضاف مبتسماً:

- ممن كنت خائفة مني... أم من نفسك؟

ارتجفت "نيلا"؟ كانت مخاوفها عديدة ومؤلمة... كانت لا تستطيع المواجهة.. على الأقل في الحديث..

أضاف "چاك" بعدم اكتراث:

- حضوري يبدو أنه أدهشك.

فتحت "نيلا" فمها لترد.. تحشرج صوتها.. لا تجد كلمات ترد بها. تحول المكان بالنسبة لها كالإعصار وانتابت جسدها موجات متتالية حجبت الرؤية عنها.

ناداها "چاك" بصوت قلق:

-"نيلا".

تراءى لها خيال "چاك" يتقدم نحوها..

انثنت ركبتاها، تشبثت برف لكنها سرعان ما سقطت مغشيا عليها.

اندفع "چاك" ليدركها قبل أن تسقط على الأرض، لكنها شاحبة اللون ممتعضة الوجه. أمسك "چاك" بها من خصرها وفي رغبة عارمة احتضنها بذراعيه وطبع قبلة حارة على شفتيها.

لم يهتم "چاك" وسط مشاعره الفياضة بمن يدخل المتجر.

رد فعله السريع وحاسته أنقذاه... وضع جسد "نيلا" على أرضية المتجر، وابتعد قليلا ناحية اليسار... اصطدمت اللكمة الموجهة إلى رأسه بكتفه أثناء دورانه.

-اتركها.. أيها الجبان. كان صوت امرأة يعلو مهددا "چاك" بينما كان وعاء زجاجي في طريقه إلى رأس "چاك".

سارعت المرأة الشقراء التي تركت المتجر قبل دخول "چاك" قائلة له:

أيها القذر. ماذا تفعل بصديقتي؟

أجابها "چاك" وعيناه على السكين الذي سحبته المرأة من فاترينة الحانوت:

لا شيء.. لاشيء.

كانت ثائرة.

-مخادع... إنك تعتدي عليها!

عند اقترابها منه مندفعة بغضبها، فاجأها "چاك" بحركة سريعة كالساحر أسقطت السكين من يدها.

-إني لم أقم بإيذاء "نيلا". هي..

لم يكمل "چاك" جملته حتى كانت خصيمته العنيدة قد غيرت تكتيكها، وإذ به يفاجأ بسيل من الكتب تندفع نحو وجهه. أصاب أحدها أذنه اليسرى.

صاحت فيه المرأة الشقراء:

-يا لك من وغد..!

www.alkottob.com

لم يكن "چاك" يعرف المرأة بعد ولم يكن ينوي أن يلحق بها أذى ولكن ما فعلته كان كثيرا؛ فأراد أن يوقفها بدون أن يلحق بها أذى.

كان "چاك" يجيد لعبة "الأكيدو".. بحركة مضادة تجنب انقضاض الإعصار الأشقر عليه مهددة إياه باقتلاع عينيه بأظافرها الحمراء القاطعة.

بدأت "نيلا" تعود لوعيها عندما تذكرت أنها أغمي عليها في لحظة غباء... كانت تشعر بشيء في يدها اليسرى وهي تنهض... كانت حلوى البرتقال الذي تفضله، لكنها كانت مغطاة بقطع من هذه الحلوى التي تبيعها، وأيضا بقطع من الزجاج المنكسر. وتساءلت: "كيف حدث لها هذا؟" صرخة استغاثة هزتها... إنها "انچي" يمسك بيدها "چاك" في قسوة.

-اتركني أيها الجبان إنك تضغط بشدة على أصابعي... أصابعي ستكسر.

-لا، وإذا استطعت أن أفعل ذلك لفعلت. أريدك فقط أن تسمعيني بهدوء.

حررت "انچي" قبضتها من يد "چاك" ونادت على صديقتها:

-امسكي هذا.

-انتظرا. إني چا...

-"چاك ماديسون"

أكملت "نيلا" جملة "چاك" بصوت قوي مرتجف. وكان هذا كفيلا بإنهاء المشاجرة بين "چاك" و"انچي" التي استدارت نحو صديقتها، أطلقت "نيلا" تنهيدة إرهاق. كانت تشعر أن منظرها يثير السخرية وهي جالسة على أرضية المتجر يحيطها شظايا الزجاج المكسور وحلوى البرتقال المتعددة الألوان. كانت مليئة بشعور الارتياح عندما صرخت في صديقتها:

-انچي، هذا "چاك ماديسون" السائح الجميل التي تمنيت أن أقابله في "جزر البهاما".

وبلهجة مهذبة كصاحبة البيت التي تستقبل ضيوفها، أضافت "نيلا":

-"چاك" أقدم لك أفضل صديقاتي "انچي باركر". إنها هي التي أعارتني فستانها المخملي الأسود الذي رأيتني به في تلك الليلة، أول الأسباب لكل هذه الغموم.

-آه! آه! ... ماذا فعلت تلعثمت "انچي" وقالت:

آه.. أسفه حقا إذا كنت قد أصبتك بمكروه يا سيدي.

مد "چاك" يده إلى "انچي" مصافحا...

-إني أعشق هذا الفستان المخملي الأسود، لقد أدارت رأسي "نيلا" وهي ترتديه، أمل ألا أكون قد أصبتك بمكروه.

نظرت "نيلا" إليهما وتمنت أن يأتي اليوم الذي يتذكرون فيه هذا الموقف ويضحكون كثيرا. لكنها كانت في الوقت الحاضر لا تشعر بأن هناك ما يدعو إلى الضحك والسخرية.

انفتح باب المتجر على مصراعيه، وبدا على وجه "نيلا" الشحوب مرة أخرى. كانت تظن أن الأمور لا يمكن أن تكون أسوأ مما هي عليه في الوقت الحاضر، وفي هذا الموقف العصيب الذي مرت به لتوها. لكن يبدو أن القدر قد خبأ لها من الهموم والمشاكل مالم يخطر على بالها.

www.alkottob.com

الفصل الخامس

أربعة من الرجال عريضو المناكب، ضخام الجثث فتحوا باب المتجر فجأة وهم يشهرون فوهات مسدساتهم وصاحوا في الحاضرين.

-بوليس لا يتحرك منكم أحد كل يلزم مكانه.

كانوا يرتدون زي الشرطة ويحملون الشارات التي تدل على ماهيتهم اتخذوا مواقعهم داخل البوتيك قبل أن يصيحوا في الحاضرين:

-ارفعوا أيديكم على رؤوسكم.. وسريعاً.

امتثلت "انچي" للأمر وهي ترتجف.

كانت "نيلا" تعرف أحدهم فقد رأته من قبل يوم الأحد في الكنيسة حاولت تذكر اسمه، نادته:

-"بيلي".."بيلي" كيف هذا؟

كانت "نيلا" تحاول جاهدة تذكر اسم عائلته، لكنها لم تستطع.

- قال "چاك" وهو يرفع يده فوق رأسه: كان يبدو من هدوئه أن مثل هذه المواقف ليست بالجديدة عليه وأنه تعود على مجابهة مثل هذه

المحن القاسية. قفزت "نيلا" واقفة كما لو كانت قد فكت القيود من يدها وصاحت في رجال الشرطة:

-توقفوا!.. لابد أن هناك خطأ.. ماذا تفعلون؟

قال "بيلي":

-إن كل شيء على ما يرام... لا تقلقي يا سيدة "شيفرد".

سنقبض على من هاجمك...

ثم استدار نحو "چاك" موجهاً إليه كلامه بحدة وقسوة:

-أنت! لا تتحرك قيد أنملة، وإلا ستلقى حتفك وتكون نهايتك على يدي.

نظرت "نيلا" وهي شاردة، مذهولة مما يحدث. وقالت له:

-توقف أرجوك، كف عن هذا، هذا الرجل لم يؤذني، أبعد عنه هذه القيود.

كانت تقاوم "بيلي" لكي يبتعد عن "چاك" الذي ظل متماسكا هادئا لم يغير موقفه أو يتغير هدوءه وسكونه منذ أول لحظة دخل فيها رجال الشرطة إلى المتجر وجه كلامه إلى "نيلا" ليهدئ من روعها:

-اتركيهم يا عزيزتي يقومون بعملهم، إن الحال سيتغير عندما أستطيع أن أشرح موقفي - كاملا وبهدوء - لهم.

ابتسم "چاك" لـ"نيلا" ابتسامة عريضة قبل أن يضيف:

-أتمنى ألا تكوني نادمة على اليوم الذي كنت فيه برفقتي في جزر "البهاما".

أمام نظرات الدهشة والحيرة من رجال البوليس وصديقتها "انچي" تاوهت "نيلا"، ونظرت نظرة عطف إلى "چاك"، ثم مدت يدها وشدت على يده. ظهرت "كلوفر نورفيل" وهي تخطو خطوات متانية على الرصيف ممسكة بعصا لعبة "البيسبول"، في يدها.

قالت العمة "كلوفر" بلهجة حادة آمرة موجهة كلامها إلى رجال الشرطة:

www.alkottob.com

إذا حاول الهرب، تعاملوا معه.

كان يبدو أن العمة "كلوفر" متسلحة بعصا "البيسبول"، وفي إشارتها لرجال البوليس أطاحت بالإناء الصيني - الموجود أعلى الرف بجانب الخزانة - الذي تناثر قطعاً صغيرة على الأرض.

شعرت "نيلا" بأن عالمها وحياتها قد انهارت: حانوتها، سمعتها كل شيء في حياتها. استندت على أحد الرفوف واستسلمت لضحكة عصبية تسخر مما فيه، وكانت "انچي" في الركن الآخر من المحل تصرخ في الحاضرين:

-أستطيع الآن أن أنزل يدي، فليعطني أحدكم سيجارة، لابد أن أدخن الآن. أريد سيجارة.

مرت خمسون دقيقة، كانت "نيلا" بعدها مستلقية، ممددة على أريكتها ذات القماش الأزرق والأبيض، كانت تشعر بإرهاق شديد، ولا تكاد تقوى على النهوض. لم تستطع أن تصدق ما حدث أو أن تتخيله، لقد أمضت لتوها أطول نصف ساعة في حياتها تحاول جاهدة أن تقدم تفسيرات إلى رجال الشرطة. كانت أسئلتهم كفيلة بأن يتعرفوا على طبيعة عمل "چاك" الماضية كرجل شرطة. وبعد محاولات مضنية ترك رجال الشرطة البوتيك معترفين ومقتنعين بأنهم كانوا ضحية مزحة.

ترك "بيلي" - أحد رجال الشرطة، الذي لم تستطع "نيلا" أن تتذكر لقبه - الحانوت على وعد من الضابط السابق بوحدة مكافحة المخدرات بأن يزوره في مكتبه، قبل مغادرته لـ"دان ڤيل" لمزيد من التعرف عليه، وليسمع حكايته عن مغامراته في وحدة مكافحة المخدرات. كان من الصعب إقناع العمة "كلوفر" بالعودة إلى منزلها. كانت مصرة على رأيها في "چاك" وكثيرا ما كررت لـ"نيلا" قولها:

-صدقي ما أقول لك. هذا الرجل خطير. يكفي كلمة منك وأنا أعرف ما سأفعله معه؛ ليبتعد عنك. ثقي بي.

أخيراً وبعد جهود مضنية، نجحت "انچي" في إقصاء العمة "كلوفر" عن "نيلا" واصطحبتها إلى منزلها مع عصا "البيسبول" المتشبثة بها.

تنهدت "نيلا" وشعرت بارتياح بعد رحيل العمة "كلوفر" ورجال الشرطة. وكانت لا تتحمل صعوبة تأجيل مواجهتها لـ"چاك ماديسون". نظرت إلى أرضية المتجر المتناثرة، عليها قطع الحلوى وشظايا الزجاج والصيني، ثم بادرت "چاك" بقولها:

-"چاك". لماذا أتيت إلى هنا؟

-إن الموقف قد تحسن الآن.. هو أفضل مما كان عليه من ذي قبل. أليس كذلك؟

رد "چاك" عليها بهذا السؤال وهو يتفحص منضدة جميلة مصنوعة من الرخام الملون. كان يبدو عليه كما لو كان لا يريد الرد على سؤال "نيلا".. نظرت إليه "نيلا"، وقالت:

-إني أصر.. لماذا أنت هنا يا "چاك"؟

تبع "چاك" السجادة الشرقية الصنع الممتدة بطول المتجر حتى وصل إلى المدفأة.. كان نظره متعلقا بصور العائلة المعلقة أعلى المدفأة.

-هل هما أختك ووالدتك؟

رفع بروازاً ذهبياً ونظر فيه مدققاً قبل أن يضيف:

-الفتاة الصغيرة ذات الفستان الوردي.. أهي أنت؟ كم كان عمرك آنذاك؟

كانت "نيلا" لا تتذكر جيداً اليوم الذي أخذت فيه الصورة.

-نعم، هي أمي "إيما" وأختي "ماري".. كان عمري وقتئذ سبعة أعوام، وكانت ماري تبلغ الثانية عشرة.. كان يوم عيد الفصح على ما أتذكر، وقد البستني أمي هذا الفستان الوردي والشرائط "الساتان" في شعري.

ابتسم "چاك" ابتسامة عريضة كشفت عن أسنانه قبل أن يضيف:

www.alkottob.com

-كنت أتمنى أن أتعرف إليك في هذا الوقت.. كنت صغيرة الحجم.. جميلة. أشعر أن الجمال أحد الخواص الأساسية في عائلتكم.

كانت "نيلا" قد اعتادت على تعليقات أقل مدحا من ذلك التعليق الذي سمعته لتوها مثل: "إن والدتك تبدو كما لو كانت أختك الكبيرة" أو "ماري تشبه أمك كثيراً، لكنك تشبهين- فيما يبدو- والدك"

-لقد قلت لي قبل ذلك: إن "إيما" و "ماري" لا تعيشان معك في (دان قيل)؟

-لا. إن زوج أمي الثالث قد بنى لها بيتا هنا..

ترددت "نيلا"، لاحظ "چاك" ترددها وانفعالها عند حديثها عن وجود أمها، لكنه لم يبد لها شيئا. وأضافت "نيلا":

-احتفظت أمي بالمنزل بعد موت زوجها، لكنها لم تعد تقيم فيه الآن، تقضي الشتاء في "أريزونا"، أما أختي "ماري" فهي تعيش في "بوسطن" منذ أن تزوجت.

أعاد "چاك" البرواز الذهبي إلى مكانه أعلى المدفأة سائلاً "نيلا":

-لماذا لم تبتسمي وأنت تتحدثين عن ذكرياتك في هذه الصورة؟ ألا تحبين فستانك؟

-لا...

شعرت "نيلا" بالارتياح والمواساة لعدم تعليق "چاك" على أسلوب وطريقة عيش أمها وأختها. ثم أضافت:

- إني لم أبتسم لأن أبي كان ينقصني.

تقدم إليها "چاك" بخطوات واثقة، ثابتة شعرت معها المرأة بارتفاع سرعة ضربات قلبها.

-لقد تركنا تقريبا قبل عيد الفصح هذا.. قبل التقاطنا لهذه الصورة.

-إن هذا لابد أنه كان صعبا عليك.

-إني حزينة..

جلس "چاك" على الطرف الآخر من الأريكة. وشعرت "نيلا" بعطفه كما لو كانت آمنة من أي شيء، ودفعها ذلك إلى عدم التحدث عن والدها. وقالت له:

-لايفيد الحزن. إن ذلك من الحكايات القديمة.

-قديمة لكنها لا تنسى على ما يبدو لي ، إن هذا يسبب ألماً دائما. أليس كذلك؟

-أفضل عدم الخوض في ذلك.

اعتدلت "نيلا" في جلستها ونظرت إلى "چاك" نظرة من أسفل، وقالت له:

-لماذا أتيت يا "چاك"؟

-إن سؤالك يشبه الأسطوانة المعادة.

-هذا؛ لأنك لم ترد عليّ حتى الآن.

-إن السبب يجب أن يكون واضحا لك.

ظل "چاك" محتفظا بابتسامته التي لا تقاوم، بينما كانت "نيلا" تقاوم بشدة ذكريات السعادة التي عاشتها معه تلك الليلة، ثم قالت بصعوبة أمام الغمازات التي تظهر مع ابتسامته والتي كانت تضعف معهما:

-يبدو أن الأمر واضح وجلي بالنسبة لك، لكنه غير ذلك بالنسبة لي.

أجابها "چاك" بلهجة مؤكدة وقد ظهر وميض ينذر بالخطر في نظراته إليها:

-لقد أتيت لأبحث عما يخصني..

ثم أضاف:

-لقد أخبرتك قبل أن تستلقي بين ذراعي أنك تخصينني.

-ليس لك الحق أن تقول ذلك..

خيم التوتر على لهجة الحديث...

www.alkottob.com

-"چاك": إن ما حدث بيننا كان خطأ من البداية، لقد كنت متوترة؛ لأن خطيبي قد تركني ليتزوج من امراة اخرى.

سألها "چاك" وقد تجمدت قسمات وجهه:

أتحبينه؟

أجابته بعفوية:

-لا..

-إذن لا تدخلي رجلا اخر في الحديث بيننا. لم يكن أحد معنا في تلك الليلة الرائعة، لم يقتسم أحد معنا هذه السعادة التي أعيش على ذكراها حتى اليوم. لماذا تركتني يا "نيلا"؟

-لقد كنت مرتبكة في هذه الليلة، كان الخزي والعار يلاحقاني من جراء تصرفي هذا أو بالأحرى من جراء تهوري وعدم تقديري للأمور جيداً.

كان وجهها شديد الاحمرار من الخجل. أحس "چاك" بارتباكها فقال لها مهدئا:

-لم يكن الأمر به أي تهور أو سوء تقدير للأمور، لم تكن تلك الليلة مجرد مغامرة. لقد كنت متيقظة لكل ما يحدث.

وما الذي دفعك للهرب، اعترفي.

نهض "چاك" وحاول أن يجعلها تنهض بالقوة عندما صرخت فيه:

-"چاك"..

-انظري في عيني وتكلمي بصراحة..

أمسكها "چاك" من كتفيها بشدة لدرجة أن أصابعه تركت علامات على ذراعيها ثم قال:

-هل كنت تعتقدين أن لقاءنا لقاء عابر وليس له بقية يا "نيلا"؟

أجيبيني؟ هل تريدين ذلك؟

كانت تسمعه جيدا وتنصت إليه بوعي، لكنها كانت منفعلة بنبرات

صوته. هذا الصوت الذي يدغدغ أعصابها ويسلبها إرادتها ويجد طريقه إلى قلبها بكل سهولة. كانت إرادتها تتلاشى. كيف يمكن لـ"چاك" أن يفعل بها كل هذا؟

أجابت بلهجة تحاول أن تغلفها بالاقتناع:

-نعم لقاء بغير أمل، وحكاية لا تكاد تبدأ حتى تنتهي.

-هذا خطأ.

رفعت "نيلا" يديها لتدفعه، لكن محاولتها باءت بالفشل، كان جذعها يصل تقريبا عند رئتيه، وكانت تحس بأنفاسه المتقطعة وتشعر بضربات قلبه السريعة، شعور المرأة المتعطشة والمتلهفة للحنان والعطف، الذي لم يستطع أحد غيره أن يشعرها بهما، قد تولد فجأة بداخلها.

-كنت أريد أن أتبعك في نفس اليوم الذي تركتني فيه لكن لم يكن لدي عنوانك.

همهمت "نيلا" وهي تكبح جماح رغبتها العارمة وهو يضمها بين ذراعيه:

-وكيف استطعت أن تعثر علي؟

-لقد استعنت بأصدقائي القدامى في وحدة مكافحة المخدرات... كان يجب أن آتي إلى هنا مبكرا عن ذلك إلا انه كان يجب علي الإدلاء بشهادتي ضد أحد المهربين الذين قبضت عليهم في العام الماضي بـ"ميامي".

خفض "چاك" رأسه ليقبل "نيلا" التي انفعلت معترضة لكنها استسلمت أمام شوقها ورغبتها العارمة، فتلقت قبلة أعادت إليها أنوثتها.

شعرت "نيلا" بدوار وكاد يغشى عليها لولا أن تداركها "چاك" وضمها إليه. بذلت "نيلا" مجهودات مضاعفة لتستطيع أن تتوازن، ثم قالت

www.alkottob.com

لـ"چاك" بلهجة عقلانية:

-أنت لا تفهم شيئا. إن المرأة التي كانت معك في تلك الليلة لم تكن أنا. إنني لست هكذا. لم أكن يوما ما مثل هذا اليوم أبداً.

-لست مثل ماذا؟

كانت أنفاسه المشتعلة بحرارة جسده التي تتردد بجانب أذنيها قد أصابتها بالدوار وشعرت بدوار طويل. ربطت يدها حول عنقها ثم أجابته:

-جريئة، مقدامة، لا حدود عندها.

مد "چاك" يده إلى "نيلا" وهو يرفع وجهها ونظراتها إليه وأجابها مازحاً:

-نعم أنت هكذا... ولكنك تخفين ذلك خلف هذه النظارات والملابس الفضفاضة غير المتناسقة. إن ما ينقصك هو رجل قادر على أن يجعلك تكتشفين نفسك، تكتشفين قدراتك، هذا الرجل. هو أنا.

-ولكن... لكن ماذا تريد مني؟

بعد هذا السؤال اليائس، الذي يبدو لسامعه أنها استسلمت، خفضت عينيها متمنية أن يتوقف سيل الرغبات بداخلها والذي كان يهز كيانها هزاً.

-إني أريد كل شيء، احتفظي بي في حياتك.. همس "چاك"... إني هنا ولدي النية لأبقى.

فتحت "نيلا" عينيها ثم قالت له:

-ماذا تقول؟ ماذا...

تلعثمت ولم ترد أن تكمل أمنيتها التي ظلت تحلم بها منذ عدة أيام مضت، ترددت كثيراً ثم قالت بصعوبة:

- أن تحبني.

-الحب، شيء جيد بالنسبة للمراهقين، أنت تروقين لي، أنا أرغب

فيك. لقد اتفقنا تقريبا على كل شيء أنت وأنا.

جرح "چاك" "نيلا" بعبارته هذه. ظلت ساكنة بدون أي رد فعل كانت تشعر بالإحباط واليأس في نفسها.. كانت تشعر بدوار كما لو كان الموت يدركها، كما لو كانت الحياة قد توقفت. أيقنت أنها إذا كانت ارتبطت بخطيبها السابق "فرانك" فإن ذلك سيكون بدون حب كصداقة، وهي الآن لا تريد ذلك مع "چاك"... أبدا مع "چاك". إن قلبها قد تعلق به منذ أول لحظة رأته فيها.

مد يده إليها وكان يحاول البوح بشعوره إليها... كانت هي أيضا تحاول أن تبتعد عنه. لقد أيقنت الآن ماذا كان يعني بقوله: "إنك تخصينني"

ظلت الكلمات تتردد في أذنيها وتساءلت في نفسها: "لماذا يتصرف معي هكذا؟ إنه لا يحبني". إن الاحتياج والرغبة اللذين يبديهما لها ليسا كافيين لأن يتصرف هكذا.. إن رجلاً مثل "چاك" قد تعود على حياة المخاطر... هل الانجذاب الجسدي فقط هو الذي شده إليها؟ إن هذا الانجذاب شعور عابر سرعان ما يخبو في نفس الراغب. كم سيلزمه من الوقت حتى يمل منها... أسبوع؟ شهر؟ إن "چاك" سيتركها آجلاً أو عاجلاً. إن الرجال في حياتها يمضون سريعا. كانت من داخلها تعترض بشدة على ذلك وتريد أن تقول بأعلى صوتها: "لا".

حاولت بشدة أن تبتعد عنه، وكانت محاولاتها كمن يحاول أن ينقل حجراً ضخماً من "الجرانيت" بمفرده.

-توقف يا "چاك" إني أرجوك.

باءت محاولتها في الابتعاد عنه بالفشل، صرخت فيه:

-تبا لك! جذبت شعره بيدها ثم أضافت:

- أنا لا أعرف قواعد لعبة "الكاراتيه" التي استخدمتها ضد "انچي".

- همس في أذنيها قبل أن يقضمها برفق:

www.alkottob.com

-ماذا؟ الأمر سيان. اتركني وإلا فساشد شعرك بقوة حتى تنتزعه يداي.

شعر "چاك" بالضيق في عيني "نيلا" وأحس بأنها كمن أوقعته في فخ أو وضع ميؤوس منه الخروج. أرخى عنقه لها بعنف وقال لها:

-ما الأمر يا "نيلا"؟ ماذا هناك؟

-إنك تسخر مني بمتابعتك لي حتى هنا، أنت تحول حياتي إلى عالم من الهرج والفوضى، أنت تحطم سمعتي بادعاءاتك أنني أخصك، هذا كل ما في الأمر.

تركت يدها قبل أن تضيف:

-لقد قلت لي بنفسك: إنك لا تحبني، ولا يمكن أن نقيم علاقة على اللقاء العابر الذي جمع بيننا في تلك الليلة.

كان وجه "نيلا" شديد الاحمرار من خجل اعترافها بذلك أمام "چاك" فنهض وقال لها بسخرية:

-لقد عشت هذا اللقاء على الأقل.

تقدم إليها لكنها أوقفته، ثم قالت له:

-إن هذا لا يكفي "يا چاك". ليس بيننا شيء مشترك ولا أريد المغامرة.

أذهل الرد "چاك". كانت "نيلا" لا تثق فيه، لقد عرفت في صباها هجر والدها لهن. ثم الزيجات المتعددة لأمها وما ترتب عليها من مشاكل، وآخر ما مرت به كان هجر خطيبها لها. كان كل ذلك يكفي لأن يجعلها كثيرة الشكوك فيمن حولها. شعر "چاك" بأن تصرفه كان غبياً. تدارك موقفه وقال لها:

- إنك لا تجرئين على أن تثقي بي إني أعرف ذلك، إني أعرف أننا تخطينا خطوات كثيرة كانت كفيلة بأن تولد الثقة في أنفسنا تجاه بعضنا البعض. أنا آسف يا عزيزتي. كنت أعتقد أنه سيكون لدينا الوقت الكافي لنتعرف جيداً على الجزيرة لكن

لاحظ "چاك" تصرف "نيلا" بعصبية أمامه. كانت تتململ من الوقوف وتستند في وقفتها من رجل إلى أخرى، لاحظ "چاك" ذلك جيداً وأضاف بهدوء:

-ربما يا عزيزتي أن كل شيء حدث سريعاً. إني أعتذر عن ذلك، لكني لست آسفا على لقائك بأي حال. إن إحساسي الداخلي يؤكد لي أننا خلقنا لبعضنا البعض، وأعتقد أنك تحسين بذلك أنت أيضا.

-كان لا يجب أن نلتقي من الأساس... كان ذلك سيكون أفضل لكلينا، لم يتعد الأمر مجرد خطأ وقعنا فيه أنا وأنت بدافع أهوج من رغباتنا.

هز "چاك" رأسه كمن لا يوافق على هذا الكلام، كان يريد بداخله أن يجذبها إليه ببساطة - ويدك حصونها ودفاعاتها بعاصفة من القبلات، نظر إليها متوسلا ثم أضاف:

-يجب أن نتعرف أكثر على بعضنا البعض، لا تتعجلي الحكم بأننا لا يمكن أن نعيش معا حتى لو افترضنا أن ذلك لن يدوم.

أدارت إليه نظرها. تقدم إليها بثقة وهدوء، أمسك وجهها بكلتا يديه، لم تنفعل مما زاده ثقة وشجعه على أن يكمل حديثه إليها:

-"نيلا"... لا أريد أن أعيش وحدي. بدونك لن أستطيع الحياة بعد الآن... أعطيني فرصة... أعطيني نفسك أيضا، لا تكوني قاسية القلب، ستكتشفين أنه توجد أشياء كثيرة، تجمعنا معا لكننا لا يمكن أن نتعرف عليها بدون خوض التجربة معا، فلنحاول معا، اتركيني بجانبك.

-"چاك"... لا أعرف...

لم تستطع أن تكمل، فهمت أن كل اعتراضاتها السابقة كانت بدون فائدة، لم تكن لديها القوة والشجاعة لكي ترفض طلبه. كانت في قرارة نفسها تتمنى لو يظل بجانبها، لكن كانت تشك في حبه، ماذا تفعل في ذلك الوقت؟

www.alkottob.com

-اتركيني بجانبك يا عزيزتي

كانت يداه المرتعشتان تتسللان باضطراب في ثنايا شعرها الكستنائي... كان يحاول أن يجعلها تنظر إليه، كانت "نيلا" تشعر بشيء من الاضطراب.. كانت تخشى من تلاقي نظراتهما. إن "چاك" لا يخفي مشاعره مطلقا، يظهر في عيونه السوداء بريق رغبته العارمة مثلها كانت "نيلا" متأكدة أن مشاعره نحوها أعمق وأكبر من أن يتحملها. كانت على استعداد لأن تراهن على ذلك، شعرت بذلك من حاستها الأنثوية. لم يكن هناك أسلوب أو وسيلة للتأكد من ذلك سوى إعطائه بعض الوقت ليثبت ذلك...

-موافقة.

عادت غمازات "چاك" للظهور مرة أخرى مع ابتسامته التي ملأت شدقيه. نظرت إليه "نيلا" بحيرة كمن يريد أن يضيف شيئا ولا يجد الكلمات، حتى وصلت إلى غايتها وأعلنت أمامه:

-ستظل بجانبي، ولكن بشروطي، سيعيش كل منا وحده.

شعر "چاك" بالضيق والحزن معا. حاول أن يناقشها لكنها قاطعته.

-إني أحذرك يا "چاك" إذا حاولت إغوائي أو تضليلي، فسترحل في الحال.

كانت كلماتها بليغة، استطاعت أن تعبر بها لأول مرة عما بداخلها.

كانت عبارات قوية، مؤثرة. لكن "نيلا" لا تشعر في نفسها بالقوة اللازمة لتحويل تهديداتها تلك إلى واقع.

طأطأ "چاك" رأسه موافقاً. ثم أضاف:

-لا توجد مشاكل. أعطيني غرفة، أعدك بأنني لن أضايقك ولن أسبب لك مضايقات أثناء الليل، لكن إذ أردتني فإنك تعرفين طريقي.

-إنك لا تستطيع أن تقيم معي. اذهب إلى الفندق، أو ربما يمكنك أن تقيم في الحجرة الملحقة بالمنزل في آخر الحديقة.

بعد عدة دقائق كان "چاك" يتبع "نيلا" يائساً، مغتاظاً إلى الخارج في الحديقة خلف المنزل. لم يتعود "چاك" أن يملي عليه أحد رغباته من قبل.

-يمكنك أن تترك سيارتك في الفناء. من هنا.

أوضحت له "نيلا" الطريق أثناء سيرهما معا. كانا يتوغلان شيئا فشيئا داخل غابة حقيقية. أشجار كثيفة، ورود كثيفة متناثرة عشوائيا بدون تنسيق. كان في آخر الحديقة التي تشبه الغابات بيت صغير كان يبدو عليه أنه مهجور منذ فترة طويلة.

دفعت "نيلا" الباب. قالت:

-في هذا المكان أقام أجدادي في بداية حياتهم عندما تزوجوا ظلوا هنا فترة حتى اكتمل بناء الڤيلا التي أعيش فيها الآن.

قال "چاك" وهو يلاحظ دهان المنزل الصغير الذي تقشر ووقع معظمه مع مرور الزمن:

-يبدو أن شهور عسلهم قد استمرت فترة طويلة.

-إن كل شيء بالداخل في حالة جيدة... إن الواجهة تحتاج فقط - إلى إعادة دهانها، ساعتني بالأمر...

دخلا إلى حجرة فسيحة يستند سقفها على ألواح خشبية عريضة وفي آخرها مدفأة من الحجر المطلي الجميل، في الجانب الآخر أمام الحائط توجد منضدة في حاجة إلى كراس، في ركن آخر كان يوجد سلم يبدو أنه عتيق... في الجانب كان المطبخ يبدو مؤثثا بقطع قديمة وأدوات قد عفا عليها الزمن لكنها كانت في حالة تسمح باستعمالها. أما بالنسبة لحجرة النوم فكانت مفروشة بسجادة قديمة، ولا تحتوي إلا على سرير ذي قبة من خشب "الأكاجو" أحمر اللون، وتسريحة متلائمة اللون مع بقية طاقم الحجرة.

-إن هذا لا يشبه فندق "ملكة البهاما" بكل ما به من أثاث فاخر وحمام فسيح، به كل ما يشعرك بالراحة، لكنه رائع ومريح إلى حد ما.

www.alkottob.com

كان لدى "چاك" تعريفه الخاص بالراحة والروعة. إن ذلك سيكون بالعيش بالقرب من "نيلا" في "الڤيلا". عاد إلى صبره قبل أن يجيبها مبتسما:

-حتى الآن. الأمر ليس سيئا.

ظلت واقفة أمامه كمن لا يعرف ماذا يفعل، كانت لا تجد التعبير المناسب للموقف ثم قالت:

-إنني... إنني أعتذر، إن ذلك لن يكون مريحاً بالنسبة لك، لكني أعدك بإعادة تصليح ومراجعة كل شيء بالمنزل أثناء الخريف وفي أيام عطلتي.

-أستطيع عمل كل شيء يا "نيلا". هذا يخصني ويشغلني.

-لا فائدة.

أمسك "چاك" بيدها. كانت يدها باردة كالثلج، كانت تشعر بصعوبة الموقف فبادرته بقولها:

-ابق هنا، سأذهب لأرى احتياجاتك. إنك في احتياج لأوان.

أظن أيضا أنه ينقصك: صابون، قهوة، بعض الحبوب...

-تابعها "چاك" بعينيه متسائلا:

"كم من الوقت يلزم لكي يكسب ثقتها؟"

لم تستطع "نيلا" أن تنام بسهولة، كانت أفكار وذكريات تلك الليلة التي قضتها مع "چاك" في جزر "البهاما" تراود خيالها وتتراقص لحظات عناقهما أمام عينيها. من المستحيل أن يظل هذا الرجل في عالمها، كانت بضعة أسابيع من الملل في "دان ڤيل" تكفيه لكي يهرب بأقصى سرعته ويعود إلى حياته الخطرة في "ميامي".

من العبث والجنون أن تقحمه في حياتها، لكنها كانت عاجزة عن التصرف أمام إصراره على المكث بجانبها. ماذا كانت ستفعل غير ذلك؟ ماذا يعد لي هذا الرجل؟ همست "نيلا" بذلك في الظلام.

كانت تشعر أنها وقعت في فخ من الصعب عليها الخروج منه.

كان ليل "چاك" طويلا. لاحقته الأحلام المزعجة، كانت فوهة مسدسه على جبهة أحد الخطرين وكانت رائحة الخوف تزكم الأنوف، كان خوفه... فجأة قفز الدم إلى صدغه، شعر بـ"نيلا" تقترب منه بوجهها الهادئ الجميل، كان صوتها عذباً، هادئا، اقتربت منه، وعانقته، والتصق جسدها بجسده.

فزع "چاك" من نومه على أثر هذه المقتطفات من الأحلام المزعجة والأمنيات السعيدة... كان شعره مسدلا على عينيه ومازال على السرير أينما ذهب فإن هذه الأحلام المزعجة تلاحقه. كانت ساعته تشير إلى الثانية بعد منتصف الليل. خرج ليستنشق عبير الهواء النقي من على عتبة المنزل الصغير تنفس بعمق كمن كان يريد أن يزيح عن عاتقه هموم وأثقال تلك الأحلام المزعجة. لقد قدم استقالته خوفا على حياته.. كان يشعر أن تلك المهنة ستفضي به إلى الموت، ستدمره، كان يشعر بأن قدره هو إعلان الحرب المقدسة على الجريمة، حرب كانت لابد ستؤدي به إلى المقابر.

كان وراء الأشجار الكثيفة التي يبدو اهتزازها واضحا في ضوء القمر يتعلق نظره بقبة المنزل الكبير حيث تنام "نيلا". كان "چاك" مستندا على باب المنزل الصغير الذي يسكن فيه، طرأت على ذهنه فكرة شدت من عزمه: إن المرأة قريبة منه. نعم إنها قريبة جدا منه وكان يقترب منها أكثر:

www.alkottob.com

الفصل السادس

في اليوم التالي، عندما عادت "نيلا" في الصباح من الكنيسة وجدت "چاك" قابعاً في مطبخها. كان قد عرف طريق كل شيء تقريبا واستعماله كما لو كان قد تردد على المكان آلاف المرات. كان جالسا على كرسي منضدة المطبخ يحتسي قهوته وأمامه جرائد يوم الأحد.

كان يبدو كما لو كان صاحب المكان وليس الغريب عليه.

-صباح الخير.

قالها "چاك" بنبرة هادئة، سعيدة بدون أن يرفع عينيه عن صفحة الرياضة. نظرت إليه "نيلا" نظرة بها ذهول.

كانت قد كابدت الليل بطوله من عدم النوم، لكن ما ضايقها أشد الضيق وجعل أعصابها في حالة هياج هو الموقف الذي حدث بالكنيسة في صباح هذا اليوم كانت أبعد ما تكون عن حالتها النفسية، العادية. زاد من ذلك وأضاف إلى همومها انه دخل إلى منزلها عنوة بدون إذنها. نظرت إليه وحاولت أن ترسم ابتسامة على

شفتيها ثم قالت له:

-أتمنى أن يكون كل شيء على ما يرام.

وضعت حقيبة يدها على المنضدة.

تفحصها "چاك" قبل أن يرد:

-كما ترين. الأحد أعشق قراءة عناوين الجريدة أثناء احتسائي قهوتي. إنك تبدين صغيرة الحجم في هذا الرداء الوردي.

لم تعرف "نيلا" بماذا ترد، مما زاد من حيرتها، كان "چاك" تبدو على وجهه السعادة، كانت تشعر بإحساسه الفياض كما كانت تعرف أن وجوده بجانبها يسعده ورغم ذلك ليست لديها الثقة في نفسها، في حديثها، في ملابسها التي تبدو لها أنها عتيقة ولا تساير الموضة. كان ينقصها الإقدام والثقة بالنفس، تقدمت بخطوة وقور نحو إبريق القهوة ثم صبت لنفسها فنجاناً من القهوة.

-يبدو أن استتباب الأمور بالنسبة لي يضايقك يا "نيلا"، لأي سبب يجب أن أشعر بالضيق والحزن؟

استدارت إليه "نيلا" فجاة. كان "چاك" قد ترك الجريدة وركز نظره على "نيلا". بادرته بالقول كمن يعترف بما في سريرته:

-في المدينة، لا يتكلم الناس إلا في الواقعة التي حدثت بالأمس في متجري، لا يوجد سوى ذلك الموضوع يتحدث فيه الناس.

كان الإحباط واليأس يبدوان على وجنتيها اللتين احمرتا قبل أن يضيف:

-ملاحظتك المزعجة حول بقائي معك في السرير تحت أشعة الشمس في جزر "البهاما" قد لاقت نجاحاً كبيراً هذا الصباح. تكدر وجهها.

كان "چاك" يلاحظها بفضول.

-إنك تهتمين بآراء الناس أكثر من اهتمامك بمواعظ خطايا الإنسان.

-بالتاكيد! إنهم أصدقائي، جيراني، زبائني، لا أريد أن يعتبروني أو

www.alkottob.com

يتصرفوا معي وكانني...

لم تستطع "نيلا" أن تكمل جملتها بالكلمة أو العبارة التي وردت في ذهنها.

-اجلسي بالقرب مني، عزيزتي "نيلا" لقد مررت بصباح عاصف.

سحب "چاك" كرسياً من كراسي المنضدة التي يجلس أمامها ووضعه بجانبه، لكن ظلت المرأة واقفة بدون أن تتحرك. ثم أضافت.

-يوجد أيضا إشاعة ترددت على ألسنة الناس هذا الصباح الكئيب. يقولون: إن أحد ضباط وحدة مكافحة المخدرات في مهمة بالمدينة ليقبض على أحد التجار المحليين بالمدينة.

كانت هذه الجملة الأخيرة هي ما أذهبت الابتسامة الشيطانية التي رسمها "چاك" على وجهه منذ بدء حديثه مع "نيلا" وكانت "نيلا" تبدو كمن وصل إلى غايته. اغتم "چاك" قليلا، وضح عليه ذلك قبل أن يتمتم قائلا:

-هيا. أكملي.

مر بيده على عنقه بحركة بدا عليه بها الإرهاق. أشعر ذلك التصرف "نيلا" بحماس لا إرادي.

-هل تعرفين من أطلق هذه الإشاعة السخيفة؟

-إنه بيلي، ذلك الشرطي الذي هاجمك في المتجر. إنه في بداية حياته العملية وقد تأثر بشخصيتك، يبدو ذلك الأمر جليا.

- لقد أخبرته أنني قد تركت وحدة مكافحة المخدرات.

-يبدو أنه في الواقع لم يصدقك.

جلست "نيلا" أمام المنضدة على كرسي، كانت تحاول أن تكمل القصة التي يبدو أنها مثيرة للسخرية كما سمعتها.

-ألف "بيلي" قصة كاملة على وجودك هنا. إنه يدعي أن هناك مهرب مخدرات موجوداً في المدينة، وأنه سيقوم بعملية تسليم شاحنة لديه

على مركب تعبر "الدان" الذي يجتاز المدينة.

-على هذا المجرى الضيق من المياه. يا لها من فكرة مضحكة! إن هذا الصغير يرى كثيراً من الأفلام السيئة.

عادت إليه ابتسامته وشعرت "نيلا" بوميض في داخلها، في قلبها شعرت معه بالسعادة. أبدا في حياتها لم تشعر بمثل هذا التأثير عندما ترى ابتسامة هذا الرجل. إن له ابتسامة ساحرة.

كان ميلهما الاثنان نحو بعضهما البعض لا تغفله عين... كان ميل "نيلا" إليه شديدا.. وكانت لا تتعجب إذا رأت يوما ما... لحظة ما ذلك الميل يتحول إلى كرات من اللهب، من الرغبة التي تملأ وجدانها.

ذات مرة شعرت وقرأت في عيون "چاك" الثقة... هو أيضا.. تراجعت إلى الخلف قبل أن تتكلم:

-أنا.

ماذا تريد أن تقول؟ لم يكن تفكيرها سوى مجموعة من الأحاسيس والانفعالات التي تتولد بها، ومعها أشكال وصور لا حصر لها.

نظر إليها "چاك" وقال بنبرة هادئة:

-ماذا تريدين أن تقولي؟

شعرت بالدهشة: إنه فهم أنها تبحث عن اعتراف أو حقيقة:

-أريد أن أعرف كيف استطعت أن تدخل إلى المنزل. حاولت "نيلا" أن تبدي عدم انفعالها قبل أن تضيف:

-لقد أغلقت الباب بالمفتاح قبل أن أرحل في الصباح لحضور قداس يوم الأحد.

-إنه سر المهنة. عموماً فإن أقفال منزلك لا تساوي شيئا، باستطاعة أي شخص أن يدخل إلى البيت ويفعل ما يحلو له.

-يا لها من عجرفة! إنك لم تحاول حتى مجرد الاعتذار أنك دخلت إلى البيت عنوة.

www.alkottob.com

-يلزمك نظام جديد للأمن، سابتاع لك واحداً.

-لا. لن تشتري أي شيء ولن تقوم بأي شيء، ساهتم بنفسي بذلك إذا أردت ذلك.

رد عليها "چاك" بصوت هادئ:

-ماذا يضايقك؟ ما الذي يجعلك مهمومة هكذا؟ لابد أنها ثرثرة الناس بالمدينة.

-نعم... لا... قليلا...

أخذت نفساً عميقاً ثم أضافت:

-إن هذا لا يروق لي يا "چاك". ماذا عندي أثناء إجازتك؟ لقد قلت لي من قبل: إنك تحب المغامرة، إني أرى أنك تسيء التصرف منذ الصباح الباكر وحتى المساء، هل لديك مشاريع؟

-مشروعي الوحيد حتى الآن أن أظل بجانبك حتى نتعرف على بعض بشكل أفضل كما سبق أن اتفقنا على ذلك. حقيقة أنا لا أعرف على وجه اليقين الطريق الذي يتحتم علي أن أسلكه في المستقبل، لكنني - من المؤكد - لن أعيش مرة أخرى على حد الموسى أو في مواجهة الخطر.

تمنت "نيلا" من أعماق قلبها وبكل كيانها أن تصدقه.

-ما الذي جعلك تقدم استقالتك يا "چاك"؟ أخبرني.

أدار نظره عنها ثم قال:

-إن الشرطي الجيد يجب أن يعرف دائما متى ينهي عمله. لابد لأي عمل من نهاية.

شعرت "نيلا" أن "چاك" لا يريد أن يقول لها الحقيقة وأنه يخفي عنها شيئا ما لا يريد أن يطلعها عليه. لقد أخبرها قبل ذلك بأنه كان يعيش عمله في كل لحظة من حياته. إنه أعطى نفسه وروحه وكل شيء يملكه لعمله، لم يبخل عليه بشيء قط... كان ذلك يتم يوميا ولسنوات عديدة. إذن فإن تركه لعمله ليس بهذه السهولة التي يدعيها. خمنت "نيلا" أنه

لابد أن يكون حدث شيء ما دفعه لتقديم استقالته، لابد أنه شيء لا يصدق حدوثه أو وقوعه ذلك الذي دفعه لتقديم استقالته شيء مخيف، مرعب.

أمسكت "نيلا" بقدح قهوتها وحاولت أن ترسم على وجهها ابتسامة. كان الخوف مما فكرت فيه من أسباب - جعلت "چاك" يقدم استقالته - قد سيطر عليها، جاهدت نفسها أن تخفي خوفها وقالت له:

-لقد قرأت يوما مقالا في جريدة عن شرطة المخدرات. بعض من رجال البوليس- مع مرور الوقت الذي يقضونه في هذه المهنة الخطرة - لا يقدرون على مواجهة أي التزام لهم وتثبط عزيمتهم، البعض الآخر يقعون فريسة للمخدر الذي يحاولون منع انتشاره؛ لأنهم يريدون أن يعرفوا ويجربوا الشيء الذي يحاربونه، البعض الآخر يجد في المال السهل أو الثراء السريع...

لم تكمل "نيلا" جملتها إلا وكان وجه "چاك" قد بدا عليه الامتعاض، ثم تحول إلى وجه من الثلج لا تبدو عليه انفعالات. نظر إليها "چاك" موجهاً حديثه:

-هل وقعت في الفخ. هذا ما تريدين معرفته. هل كنت غبيا لدرجة أن أدمن المخدرات أو أحاول الثراء السريع على حساب سمعتي أو عملي وشرف المهنة؟ هذا ما تريدين أن تعرفيه. أليس كذلك يا "نيلا"؟

كان صوته قويا، قاسيا. لقد شق على "نيلا" سماع هذه العبارة منه ورغبت في الفرار كما لو كانت اقترفت ذنبا.

-إنني إنسان يا "نيلا"، لي أخطائي ومساوئي، لكنني لست مدمنا للمخدرات ولا رجلا فاسداً يبيع ضميره وذمته من أجل الثراء السريع.

-هذا يروق لي سماعه منك. وعلى أية حال فإني أعتذر عن هذه الأسئلة السخيفة.

-إنك لست مدينة بالاعتذار لي إنك فقط تريدين أن تعلمي

www.alkottob.com

وتستفسري عن عملي، لو أني في مكانك لكنت في حاجة إلى تفسيرات وشروح كذلك.

نظرت إليه "نيلا" بعطف، كانت يداها ترتعشان. قالت له:

-إني أصدقك، لكني قلقة عليك، لا شيء يجبرك على الكلام إذا لم ترد الحديث.

-بلى، إنني لا اتفق معك في ذلك. إن هذا الأمر ضروري، إننا يجب أن نتعرف على بعض أكثر، وما من وسيلة إلى ذلك غير هذا. أليس كذلك؟ لا أريد أن يكون بيننا أسرار، لا أريدك أن تنظري إلي وأنت تتساءلين بداخلك: من أكون؟ ماذا أفعل؟ وما سأفعل؟ أريد كل شيء، كل شيء واضحا بالنسبة لك، لا أريد أن أكون لغزا في مخيلتك. أريدك أن تمنحيني ثقتك. إنها غالية، جداً بالنسبة لي.

نظر إليها "چاك" بود ثم مد يده إليها قبل أن يضيف:

-منذ أول يوم التحقت فيه بالعمل في هذه المهنة كان لدي اعتقاد راسخ ومبدأ لم أغيره هو: أن المخدرات هذه شيء جيد- فقط- للبلهاء.

إن كل المهربين، ابتداء من الموزع الصغير في الشارع وحتى رئيس الشبكة يعرفون جيدا أنني لم المس يوما شيئا من بضاعتهم لكن المروج القذر الذي كنت أسعى في القبض عليه

كان لا يتردد لحظة أن يتكسب عيشه من الفقراء المدمنين الذين لاحول لهم ولا قوة كنت مقتنعا بما أفعله وأقوم به، وانتصرت عليهم جميعا في النهاية وساعدني القدر بأن وقعوا جميعا في الفخ الذي كنت أنصبه لهم. لم أتناول شيئا - قط - طوال حياتي من هذه البضاعة الرديئة المدمرة، حتى وأنا أقوم بأدوار مختلفة لأستطيع الإيقاع بهم، لم أدمن شيئا قط لأتقن الدور عليهم حتى لا يفطنوا إلى حقيقة عملي كشرطي.

كانت تعبيرات وجه "چاك" قد اثرت في "نيلا"، كانت لا تشك في أن

"چاك" محترم في وظيفته وأنه كان يجبر الآخرين على احترامه. كان الحزن المفعم يملأ نظراته، وكان ذلك أدعى لأن يصدقه أي شخص يشاهده وهو يتكلم عن وظيفته التي أحبها طويلا وكثيرا.

ظلا طويلا أمام بعضهما بعضاصامتين بدون كلام. كانا يتفحصان بعضهما البعض من حين لآخر.

كان "چاك" يبتسم ابتسامة خفيفة، ساخرة قطعت الجو المفعم بالذكريات المؤلمة وأضاف:

-أضيف لك: كان سلاحي الوحيد في محاربة هؤلاء القوم الأشرار التصرف بذكاء، بلطف، بأسلوب ساخر، مضحك. كنت أقوم بأداء مهمتي للإيقاع بالمهربين أمام جمهور لا يبعد عني سوى أمتار قليلة. كان دوري يحتم علي أن أكسب ثقتهم، كانت الضرورة تحتم علي، لكي أنجح في تنفيذ ما خطط له، أن أتقن جيداً الدور الذي العبه لمدد طويلة - أحيانا - لكي أستطيع أن أنجو بنفسي وجسدي سالما من هذه المخاطر وأعود صحيحاً معافى إلى الحياة الطبيعية.

اقترب "چاك" من "نيلا" ولف كتفيها بذراعيه.

-من أجل هذا قدمت استقالتي. لم أعد أحتمل المزيد من تلك الأدوار، كنت بحاجة أن أعيش حياتي الطبيعية بشخصيتي الحقيقية بدون أي تزوير في بيئة جديدة لا غش فيها ولا تدليس.

تركت "نيلا" نفسها بين ذراعيه. كان من غير المفيد أن يعلمها أنها تمثل له العالم الجديد، الطبيعي، الذي لا غش فيه ولا تدليس. فهمت ذلك من تلقاء نفسها.

-من الطبيعي، كان يمكنني أن التحق بالإدارة العامة لمكافحة المخدرات وأدير الأشخاص الذين يعملون هناك من واقع تجربتي العملية. لكن كان هذا لا يساوي شيئاً بالنسبة لي.

-الواقع أنك لا يبدو عليك "البيروقراطية"، وفي رأيي أنك لا تصلح

www.alkottob.com

لهذه الأعمال الروتينية.

-لا تنظري إلي هكذا.

-ماذا تريد أن تقول؟

-إن طريقتك في النظر إلي تثير في...

اقترب "چاك" منها وحاول أن يقبلها لكنها ابتعدت عنه تلقائياً. كانت كل حركة يقوم بها "چاك" بجسده الضخم في اتجاهها تثير بداخلها كل رغباتها المفعمة بالعيش حياة سعيدة هانئة مع هذا الرجل. كانت قبلته ساحرة، غامضة، بلهيب وشوق لم تشعر بهما من قبل. كانت لحظات عامرة بالفرحة، بالسعادة، بالشوق، لحظات حولت حياتهما ولقاءهما فجاة. كانت "نيلا" تشعر أنهما عادا من جديد إلى الجزيرة، عادا مرة أخرى ليستمعا سويا إلى "الأوركسترا" في الهواء الطلق حيث تولدت رغباتهما معا لأول مرة في ذلك الجو الشاعري.

رفع "چاك" رأسه.

-"نيلا"..

ابتسمت ابتسامة كان لها وقع السحر في قلب "چاك". كانت ابتسامتها مغلفة برغبة تتولد في عينيها. مدت "نيلا" يدها وفكت رباط شعره الأسود الذي تهدل على كتفيه مما جعله يئن تحت وطاة فعلها هذا، انزلقت يدها على كتفيه. لكن تفكيره كان يعرف أن "نيلا" العاطفية ستهرب وتختفي.

إنها ليست مستعدة في الوقت الحالي لتقبل هذه التصرفات السريعة من شخصه..

أبعد "چاك" رأسه عنها بعد أن قبلها قبلة واحدة قائلا لها:

-أريد أن أتعرف على المكان جيداً.

كان صوته مبحوحاً وهو يبتعد عنها.

نظرت إليه "نيلا" بدهشة واستغراب ثم قالت له مستفسرة:

-ماذا؟!

-أريد أن أرى المنزل والمتجر.

هزت "نيلا" رأسها وقد تسرب الشك إليها. كانت - تقريبا - قد استطاعت أن تسيطر على الجانب الوحشي من سلوكها وتستسلم لغريزتها الأنثوية العاطفية، نهضت وخرجت من المنزل وكان "چاك" يتبعها.

كانت ردهة البيت طويلة وبها سلالم حلزونية كانت تفصل الطابق الأسفل إلى جزءين: على اليسار المتجر وعلى اليمين الصالون الذي جلسا فيه بالأمس، وهناك غرفة للطعام أيضا بجانب الصالون في الناحية اليمنى، في أقصى الردهة كانت توجد حجرة بها مدفاة مكسوة بالرخام الأبيض وبقطع أثاث من العصر المنصرم كان هناك أيضا "بيانو" أسود في مواجهة الشباك الذي يطل على الحديقة.

أشارت "نيلا" إليها وقالت:

-صالة الموسيقى.

في هذا المكان تعرف "چاك" على بعض ذكريات "نيلا" وعلى جانب جديد من حياتها، سمع مجموعة من الأحداث شكلت حياتها. أعلى المدفاة كانت هناك صورة لوالدتها وهي ترتدي فستانا طويلا أبيض اللون وتضع تاجاً على رأسها. كانت الفائزة الأولى في مسابقة للجمال وكان هذا التاج يمثل الجائزة الأولى. صورة أخرى لأختها وهي في نفس هيئة والدتها بعد مرور عشرين عاما، كانت أختها قد كسبت المركز الأول في نفس المسابقة. في غرف الطابق الأول سمع "چاك" حكايات "نيلا" عن طفولتها وأخذ بالستائر القديمة المكسوة بالدانتيلا وورق الحائط الذي يحمل رسومها والذي كان يكسو حجرة نوم "نيلا". كان الزرع الذي يحيط بجوانب الحجرة يتناسب مع أثاث هذه الغرفة التي شهدت طفولة "نيلا". شعر "چاك" بداخله أن جزءاً من

www.alkottob.com

"نيلا" الصغيرة مازال موجوداً بداخلها. هكذا حدث نفسه.

في الطابق الثاني، كانت هناك صالة الألعاب والتي تطل على الحديقة حيث كان المنظر ساحراً. وفي هذا المكان قرأت "نيلا" كثيراً ولعبت كثيراً وحلمت أحلاما وردية عديدة.

عند نزوله السلم خلفها، كان "چاك" قد استطاع أن يكون صورة قريبة وصادقة عن شخصية المرأة كمحصلة لما سمع من إجابات الأسئلة التي القاها عليها. كانت فتاة صغيرة خجولا ومنغلقة، كانت تشعر بالآلام والمضايقات وهي تعيش بجانب أمها وأختها اللتين كانتا مغامرتين. كانت منطوية على نفسها، تشبه أباها الذي ترك عائلته في يوم من أيام فصل الربيع بعد أن عجز عن أن يجد لنفسه مكانا ملائما وسط أسرته.

عندما دخل "چاك" إلى البوتيك كانت ملاحظته على "نيلا" قد فرضت نفسها عليه، كان تقديره السابق لـ"نيلا" مجحفاً، لم يوفها حقها.. كانت جميلة، ورقيقة، كريمة وعاطفية. يجب عليه أن يشعرها بالثقة في شخصه، لم يكن ذلك سهلا بطبيعة الحال.

-إن متجرك يروق لي - من أعماق قلبي - فإن الجو هنا مرح وعاطفي حسنا يا "نيلا".

ظهر وميض الفرح في عيني "نيلا" من هذا الثناء. وشعر "چاك" أنه أدخل السعادة في قلبها وأخذ عهداً على نفسه أن يشجعها كلما كانت تستحق ذلك.

- عبر "چاك" عن شعوره وهو في متجر "نيلا" وكان يرتشف القهوة ذات العبير الشذي بتلذذ قائلا:

إن ذلك يشعر بالراحة.

-لابد أن زبائنك لا يستطيعون مقاومة ذلك الجو عند شراء احتياجاتهم.

-نعم. كل الناس يخبرونني بهذا.

ذهبت "نيلا" حتى قسم الهدايا، كانت طريقة تقديم الهدايا وأدوات المكياج رائعة وكفيلة بأن تجذب الزبائن، في قسم أدوات الحمام لفت نظر "چاك" الصابون ذو الألوان المختلفة والصابون السائل المعطر.

-كيف ذلك؟ أيوجد صابون سائل معطر بالصنوبر؟

-نعم. إن هذا يباع جيداً.

اقترب من ذلك العطر ثم قال:

-إنني لا أتخيل أنني يمكن أن أقترب من إنسان استعمل هذا الصابون؛ سيحمل بالتاكيد رائحة غابة بأكملها.

ضحكت "نيلا" وصاحت:

-حقيقة إن الأمر بالنسبة لي مختلف.

تناول "چاك" زجاجة من زيت التدليك البرتقالي اللون وقرأ التعليمات التي عليها:

"لتنعيم الجلد، ضع قليلا منه ودلك بلطف"

فتح الغطاء الذهبي للزجاجة وأراق قطرة على يديه ثم دلكها بأصابعه.

كانت "نيلا" تشعر بانفاسه وهي تقترب منها. كانت نظرته الماكرة تبدو واضحة في عينه، يلزمها كل الشجاعة لكي تظل ساكنة عندما يمرر أصابعه المعطرة على خدها ويتسلل بهما حتى رقبتها. عندما فكرت في ذلك، شعرت كما لو كانت مجردة من كل شيء وهو كذلك. إن أصابع هذا الرجل تشعرها بانوثتها. كان إبهامه قد وصل إلى عنقها حيث نبضها. "إن لهذا الرجل يدا خفية، حانية. فكرت "نيلا" في ذلك وهي تستسلم لملاطفته.

همست له بصوت مبحوح، مليء بالانفعال:

-"چاك".

www.alkottob.com

أجابها وهو يحني رأسه:

إني أحب ذلك.

كان يقترب بفمه من فمها، فكرت أنه سيعانقها، لكنه بدلا من ذلك تحسس خدها وعنقها كالمراهق.

-هذا يشعر بالراحة. "نيلا". أيروق لك هذا أيضاً؟

-نعم

-أعطيني ذراعك.

أطاعته في عاصفة من المشاعر... أخذ يدها وسكب نقطة من زيت التدليك الذي ما زال في يديه ثم مر على ذراعها برفق. كانت تشعر بأن النار والثلج يسيران في عروقها في وقت واحد. كانت أصابع "چاك" تولد بداخلها الرغبة العارمة.

-هل نتعشى سويا الليلة؟

-نتعشى!

فتحت عينيها لكنها كانت قد فقدت القدرة على الكلام. هزت رأسها، ابتسم لها وترك يديها. وضع زجاجة زيت التدليك في مكانها قائلا:

-إنني في حاجة إليه يا "نيلا"، فلتضعي ذلك في حسابي.

كانت "نيلا" لا تستطيع أن تتكلم ولا ترغب مطلقا في الكلام سابحة في عالم من الخيال صنعته يدا "چاك" الحانيتان على جلدها. نظرت إليه وهزت رأسها، تبعته بينما كان يبتعد، عندما وصل إلى البيت، استدار نحوها ليبتسم لها قائلا:

-إلى اللقاء.

كانت انفعالات "نيلا" قد أشعرتها بالإرهاق. قالت في نفسها "إني أحب هذا الرجل بجنونه هذا. كيف يمكنني الآن أن أقاومه وقد فقدت راسي من أول مداعبة منه؟"

بعد نصف ساعة، كان "چاك" قد استكشف الحديقة الواسعة التي

تحيط بالمنزل الصغير الذي يقيم فيه. كان لقاؤه مع "نيلا" قد جعله عصبيا، حاد المزاج. في أحد الجوانب المزروعة الخضرة جلس "چاك" مستلقيا على ظهره كمن كان يريد أن يستعيد توازنه. كان لقاؤه مع "نيلا" في الصباح أثناء عودتها من الكنيسة قد أشعره بالغضب، شعر بانه تسبب لها في إحراج وسط أهلها وجيرانها، كانت امرأة لها حياتها الخاصة وليس كما يعتقد.

كان تصوره عنها يخالف ما شهده على الطبيعة إنها امرأة بسيطة جميلة، رقيقة، لكن من الصعب أن يكتسب ثقتها، تجارب والدتها العديدة وأختها قد أثرت في نفسها أيما تاثير. إنه مر بمثل هذه المواقف من قبل. كثيرا ما كان عليه أن يكتسب ثقة معتادي الإجرام؛ ليستطيع أن يوقع بهم فيما بعد. لكن هذه المرأة- على الرغم من بساطتها- فإنه متحير في كيفية كسب ثقتها. كان "چاك" يأمل أن يكون بمحاولته ملاطفتها في المتجر بأسلوب صبياني - قد اقترب منها بعض الشيء.

عشرون دقيقة فيما بعد جلوسه مسترخياً، نهض "چاك" ليمارس التمارين الرياضية التي اعتاد عليها.

عندما شعر بحاسته البوليسية الخاصة بأن شخصاً يلاحظه تمحور "چاك" حول نفسه. كانت عينان تراقبانه من وراء الأوراق الصفراء المتدلية من إحدى الأشجار الصغيرة. وصل فضول "چاك" إلى ذروته، كان الأطفال بالنسبة له لغزاً، كان لا يعرف، عمليا كيف يتعامل معهم ويجهل تماما الأسلوب الأمثل لكسب ودهم وصداقتهم. كانت حاسته كمغامر سابق تشعره بأن أي حركة مفاجئة أو أي شيء غير متعقل سيجعل صاحب هاتين العينين اللتين تراقبانه يعطي ساقيه للريح في محاولة للهرب؛ ظل صامتا، ساكنا لا يتحرك.

هزت الريح أوراق الشجرة الصغيرة، ثم أزاحت يدان صغيرتان

www.alkottob.com

أوراق الشجر المتدلية، ثم ظهر وجه دائري الشكل متوج بشعر أشقر مشعث، وعينان واسعتان تنظران بترقب وبدا عليهما الذكاء والفهم.

اقترب الصغير خطوة خطوة. كان يبدو مراهقا. التزم "چاك" الصمت ولزم الهدوء وبدا يتملك مشاعره وانفعاله. كان يعرف أنه إذا لم ينجح في هذا الامتحان، فإن القادم سيرحل مبكراً في أعماق الحديقة.

نظر الصبي إلى "چاك" وقال له بلهجة استفهامية:

-تحية؟

-سلام

سمع "چاك" صوت أوراق الشجر تهتز، وفجاه ظهر قط مخطط - هذا قطي "سوجر".

هز "چاك" رأسه:

-هل أنت صديق "نيلا"؟

-نعم.

-هي صديقتي ولكي أكون دقيقا، فإنها التي ترعاني.

كان صوته واضحا تماما. اقترب الصبي من "چاك" يتبعه قطه، نظر إليه ثم قال له:

-هل تهتم بالعناكب؟

-ليس حقيقة.

-للأسف. إنها عناكب لا مثيل لها، إن لها مهارة فائقة في اصطياد فريستها بارجلها المتناسقة هندسيا بشكل يثير الإعجاب.

ابتسم "چاك". كان يبدو على محدثه أنه يبلغ الخامسة أو السادسة من عمره.

ظل نظر الطفل معلقا إلى أعلى كي يستطيع أن يجاري "چاك" في حديثه. كان واضحا أن الصبي لطيف ويجيد الحديث والحوار مع الآخرين، وكان على "چاك" الاستماع له جيداً حتى يكسب وده

وصداقته. نظر إليه الصبي قائلا:

-في الصباح الباكر لأحد الأيام أخرجت من حقيبتي إحدى الحشرات الميتة من علبة صغيرة كنت قد حفظت فيها الحشرة وتركتها في أحد أركان حجرتي، عندما عدت في المساء كان العنكبوت قد عثر على الحشرة الميتة ونسجها بخيوطه المتداخلة متخذا منها طعاما له، كانت صورة خيوط العنكبوت تتلألأ في ضوء الشمس. إن له خيوطاً رائعة، جذابة، شيء لا مثيل له.

أكمل الصبي جملته، ثم شب بقامته نحو "چاك" قائلا:

-أدعى "ميل باركر"، أعتقد أنك قابلت والدتي، أمس.

إنه إذن ابن "انچي باركر". لم يكن يشبه والدته كثيرا إلا في لون العينين والشعر.

-أدعى "چاك ماديسون".

-نعم، سيد "ماديسون"، أعرف. لقد حدثتني والدتي عنك.

لقد رأيتك من خلال "الڤاترينة" في متجر السيدة "نيلا" عندما استدعت العمة "كلوڤر" البوليس بالأمس.

-أكان هذا قبل أن يقبضوا عليّ أم بعده؟

-في هذه اللحظة بالضبط. عندما وضعوا الحديد في يديك. لابد أنها تجربة مثيرة. ماذا فعلت بعد ذلك؟

-يمكنك أن تدعوني "چاك"، تستطيع أن تمارس معي رياضة "الأكيدو".

هز الصبي رأسه موافقا وكان يبدو عليه الاستعداد لتعلم الألعاب الجديدة. كان يبدو أن "چاك" قد استطاع في الفترة الوجيزة الماضية أن يكتسب ود وصداقة الصغير.

-"الأكيدو" هي وسيلة للدفاع عن النفس بالأيدي المجردة مثل لعبة "الكاراتيه". لقد رأيت ذلك في الموسوعة.

www.alkottob.com

من دربك على هذه اللعبة؟

-والدي. كان مدرباً للعبة "الأكيدو".

-والدي توفي.

تحدث الصغير بلا انقطاع وبلا أي انفعال كما لو كان يحكي رواية أو حادثة بسيطة.

-والدي أيضا توفي

-إذا علمتني فنون لعبة "الأكيدو"، فإنني أستطيع أن أعرفك كل ما تعلمته وعرفته عن العناكب.

-ساكون في غاية السعادة أن أكون مدربك.

مد "چاك" يده إليه، نظر إليه الصغير وقال له مصافحاً:

-وأنا سيكون لي الشرف أن أكون طالباً عندك.

كان صوت الصغير جادا. وواضح على قسمات وجهه الاهتمام والجدية.

-إن أول شيء يجب عليك أن تتعلمه هو كيف يمكنك السقوط بدون أن تصاب بأذى. انظر إليَّ جيداً، وحاول أن تقلد ذلك فيما بعد لتتقنه.

كان القط يلاحظ ما يدور بين الصديقين باهتمام، وبعد لحظة اختفى بين أوراق شجر الخريف.

قليلا بعد ذلك وأثناء تجول "نيلا" بالقرب من المنزل الصغير الذي يعيش فيه "چاك" في آخر الحديقة، توقفت "نيلا" عندما شاهدت الصغير و"چاك" وهما يمارسان التمرينات الراقصة. لم يلاحظ أحد منهما وجودها. كان تركيزهما شديداً في ألعابهما. كان الصبي يترنح بجسده يمينا ويساراً، يسقط ويقوم، يفقد توازنه ويستعيده، كل ذلك وأكثر عشرات المرات في دقيقة تمر عليهما وهما يمارسان ألعابهما. كان المثير للدهشة والإعجاب في وقت واحد أن الصغير لم يصب بأذى وكانت تتعالى ضحكاته كلما وضعه صديقه الكبير على قدميه. كان

الضحك ليس من عادات هذا الصغير العنيد الطبع؛ شعرت "نيلا" أنه إذا لم يكن "چاك" قد سلبها "قلبها قبل ذلك الوقت، فإنها كانت على استعداد أن تقدمه له طواعية لاستطاعته إضحاك ابن أختها وصديقتها الوحيدة "انچي".

حاولت أن تختبئ على قدر استطاعتها راجعة إلى بيتها وصورة الصبي الصغير والرجل ماثلة في ذهنها. كانت إحدى أمنياتها في الحياة، بل كان هدفها في الحياة هو أن تملأ البيت بالأطفال السعداء على الرغم منها، تساءلت بداخلها "إذا كان "چاك" قد راودته فكرة أن يشيد منزلا في يوم من الأيام، بالطبع لا. إن حياته الخطرة تتعارض مع هذه الفكرة".

www.alkottob.com

الفصل السابع

في مساءيوم الأحد وفي السابعة بالتحديد ضغط "چاك" جرس الڤيلا الخاصة بـ"نيلا". كانا على موعد العشاء كما اتفقا هذا الصباح في متجر "نيلا". كان "چاك" يرتدي قميصاً تحت سترته المصنوعة من الجلد. هل كان يجب عليه ارتداء بذلة كاملة؟ كان "چاك" يتساءل في نفسه وهو يضغط على زر الباب.

كانت "نيلا" قد مرت عليه في المنزل الصغير الذي يقيم فيه في آخر الحديقة بعد الظهر وأخبرته أنه من الأفضل لهما أن يتعشيا سويا لديها في منزلها بدلا من الخروج إلى المدينة. كان ذلك - مما لا شك فيه - لا يستدعي أن يكون مرتدياً ملابسه الرسمية كاملة.

فتحت "نيلا" الباب. كانت مرتدية جونلة قصيرة و"تي شيرت" برتقالي اللون مصنوعاً من "التريكو" ومزيناً بـ"الدوكولتيه" عند الرقبة، كان يبدو عليها رائعا ويجعلها جذابة وفاتنة في عيني من يشاهدها.

نظر إليها "چاك" وبدت نظرة الإعجاب في عينيه. قال لها:

-إنك تبدين فاتنة، جذابة في هذا اللون البرتقالي.

-شكرا جزيلا. تفضل بسرعة.

كانت السعادة تكاد تقفز من عينيها من مديح "چاك" لها ورغم ذلك كانت وجنتاها شديدتي الاحمرار من الخجل، كان يبدو عليها أنها حادة المزاج، عصبية مثله، كانت تستعجل هذا اللقاء منذ لقائهما الأول في "جزر البهاما"، كان يبدو لها "چاك" رائعا، مثاليا، لم تشعر بشيء يجذبها إلى رجل مثلما تشعر في علاقتها بـ"چاك"، كان يبدو أنه فتى أحلامها أو الفارس الذي تنتظره منذ زمن طويل ليخطفها - على صهوة جواده - من حياتها الرتيبة المملة إلى جزيرة الأحلام، حيث يحقق لها كل ما كانت تصبو إليه وتحلم به طيلة عمرها.

أشارت إليه بيدها نحو المطبخ قائلة:

-إن العشاء جاهز، أتمنى أن يعجبك الفروج مع العجائن.

-إنني أعشق العجائن والفطائر.

كان "چاك" يشعر أنه بجانبها يمكنه أن يأكل أي شيء. عندما اجتازا الصالة واقتربا من المطبخ، استقبلته رائحة الطعام الزكية التي كانت تملأ المكان. كانت المنضدة تتوسط المطبخ، مغطاة بمفرش جميل وفي وسط المنضدة كانت توجد زهرية من الكريستال مليئة بالزهور وشمعدانان على جانبي المنضدة بهما شموع وردية اللون.

كان الجو شاعريا، وضح فيه ذوق "نيلا" واهتمامها بالقادم.

كانت أنغام الموسيقى تتسلل في جنبات المكان، كان كل شيء يبدو رائعا، وفاتنا، مثيراً للعواطف.

خلع "چاك" رداءه، أخذته "نيلا" وعلقته بالقرب من الباب.

-هل تريد أن تذوق السلطة أثناء وضعي الأطباق؟

كما ترى أن التوابل ومقومات الفطائر جاهزة.

-أرى ذلك.

www.alkottob.com

تنفس "چاك" بعمق. كان يريد الاسترخاء، كانت فكرة وجوده مع هذه المرأة الفاتنة في المنزل تثير عواطفه.

-هل العيش والإقامة في المنزل مريحة؟

-ليس الأمر سيئاً

تلاقت نظراتهما، كان يبدو في عيني "چاك" عدم الرضا عند إجابته عن سؤال "نيلا". فهمت "نيلا" الرسالة التي يريد "چاك" أن يوصلها لها. كان "چاك" أيضا يقول في نفسه: "من الأفضل أن أظل بجانبك... كان الحال سيتحسن". أشعلت "نيلا" الشموع بيد مضطربة وكانت تراقبه خلسة وهي ترص الأطباق على المنضدة، كانت تشعر بالحب يكبر بداخلها، كان الحريق لا يمكن السيطرة عليه، كان الأمر يبدو رائعا لكنه كان في نفس الوقت مخيفا. إن بقاء "چاك" في "دان ڤيل" لن يدوم، سيمكث لأيام معدودة يرحل بعدها إلى حيث أتى وتعاني الوحدة من بعده.. سيبدو ذلك مزعجاً للغاية، قاسيا لأبعد الحدود.

فتحت "نيلا" باب الثلاجة وأخرجت منها زجاجة الشراب المثلج، كانت من أعماق قلبها تتمنى أن يظل "چاك" بجانبها، أن يكون حبه لها لا عدول عنه، لا رجوع فيه. لكن هل كان "چاك" على استعداد لذلك؟ هل سيقدر على تحقيق أحلامها وأمانيها العريضة؟

كانت بالرغم من كل هذه الشكوك المثارة بداخلها قد قررت أن تستفيد من صحبته هذا المساء. أما بالنسبة للغد، فإن الغد كان دائما يأتي سريعا...

وضعت زجاجة الشراب المثلج على المنضدة أمامه وبادرته بالسؤال:

-هل الإقامة في المنزل الصغير لا تضايقك؟

هل تسبب لك أي إزعاج؟ هل إصلاحك إياه سيشعرك بالملل؟

-على العكس، إنني أعشق العمل اليدوي.

مدت يدها تتحسس يديه، كان طلاء المنزل قد تناثر بعض رذاذه على

جلده الخشن ولم يفلح الماء أن يزيله، كانت تشعر بقوة ساعده، كانت ملامسة جلده تثيرها إلى أقصى درجة، كانت تعرف أنه الرجل الوحيد في حياتها الذي أشعرها بانوثتها... كان رائعا، فاتنا، جذابا.

في حركة مفاجئة - كما لو كانت قد عادت إلى رشدها - أدارت له ظهرها، ذهبت لتحضر الفروج والعجائن على الطريقة الإيطالية.

كانت مشاعر "چاك" تبدو لها صادقة، لا غش فيها ولا مجاملة. تناولت وجباتها بشهية لم تأكل بها منذ زمن بعيد، شعرت بالأمان نظرت إليه وتعالت ضحكاتها. انتبه "چاك" على ضحكتها العالية مندهشا، نظر إليها باستغراب، قال لها:

-ماذا هنالك؟

-إن ذلك يعد أول طعام نتناوله سويا.

-وهل يبدو لك ذلك مضحكا؟

-لا. أبداً ولكننا استبدلنا الأحداث.إن الناس أول ما تتعارف يتناولون شيئا سويا، بعد ذلك وعندما تتوطد علاقاتهم يستطيعون العيش معا، إننا بدأنا من حيث ينتهي الآخرون، يبدو لي هذا غير مألوف.

-أعتقد أن القدر أراد ذلك، وعلى أية حال فنحن سويا نتناول الطعام ونتعارف كالغرباء، فلنبدأ من جديد.

-أنت على حق بدون شك.

وقع "چاك" أسيرا لسحرها وفتنتها، كان يجهل الأسباب التي تكمن وراء عدم تحفظها. كان يبدو أنها في حالة لا مبالاة.

لم يهتم "چاك" بالأسباب ولم يكن على استعداد ليلقي كثيرا من الأسئلة حول ذلك الأمر، كان يريد اغتنام الفرصة التي أمامه.

نظرت إليه "نيلا" وبدا في عينيها القلق، قالت له:

- هل ستعود إلى بلدتك أثناء إجازة "عيد الشكر"؟

www.alkottob.com

سيكون الاحتفال خلال خمسة عشر يوماً.

كانت "نيلا" تريد تحويل المحادثة في اتجاه أقل خطراً مما انتهيا إليه.

كان قلب "نيلا" يدق بعنف بين جنبيها وكانت تشعر باهتزاز قفصها الصدري من شدة ضربات قلبها وهي تنتظر إجابة "چاك" على سؤالها. هز "چاك" كتفيه قائلا:

-لا. ليس عندي عائلة، وبالنسبة للأصدقاء فإنه ليس من السهل الاحتفاظ بهم ولا سيما الصداقات الجيدة، الحقيقة إذا كنت تتغيبين كثيراً عن مدينتك ولمدة أسابيع طويلة وربما شهورايقظت جملة "چاك". والحزن الذي ظهر في نظرته أثناء حديثه الشعور بالحنان والعطف لدى "نيلا".

-إنني لا أستطيع أن أتصوركم. يبدو هذا مزعجا، مرعبا ومخيفا إلى حد كبير ألا يكون لديك أي شخص تهتم به أو يهتم بك. صحيح أن عائلتي - أمي وأختي - تعيشان بعيداً عني ولكن ذلك لا يغير من الأمر شيئا.

-إن لك في الواقع الراهن صديقات حميمات، إن هاتين المرأتين اللتين قابلتهما بالأمس صديقتان حقيقيتان.

أغلقت "نيلا" عينيها ثم سرعان ما فتحتهما كما لو كانت تأسف على ما جرى من هاتين المرأتين لـ"چاك". وقالت له بنبرة يعلوها الأسف:

-إنني آسفة حقا على ما جرى بالأمس في المحل عندما هاجمتك "انچي". إنها تعودت الدفاع عني منذ أن كنا في الحضانة سويا وهي تقوم بدورها على أكمل وجه من ذلك الحين، إن ما قامت به كان عفويا منها، لقد اعتادت على ذلك، ابتسمت "نيلا" ابتسامة كان يغلب عليها الأسف قبل أن تضيف:

-أما بالنسبة لـ"كلوفر" فالأمر خاص جداً لا يجب أن تأخذ ما قالته

عنك بالأمس في المتجر مأخذ جد. إنها تكره الرجال بصفة عامة وترتاب في أي شخص.

-لست في حاجة إلى الاعتذار عما ما فعلوه أو ما تفوهوا به. من خلال خبرتي في الحياة وبواقع تجاربي في عملي، فإنني أقدر إلى أي حد تندر في هذه الأيام الصداقة الحقيقية. إن الشخص الوحيد الذي أعتز بصداقته وأستطيع الاعتماد عليه بعد هذه السنين الطويلة والمعارف المتعددة هي "راي".

-من تكون؟

-"راي جارسيا" زميلتي السابقة في وحدة مكافحة المخدرات. عشنا في السنوات الأخيرة بالقرب من بعضنا البعض، أعتقد أنها ستروق لك كثيراً.

كانت ابتسامته الهادئة تعلو وجهه.

-إنها إحدى شريكات العمل... هذه المرأة!

شعرت "نيلا" بالغيرة تزحف على قلبها وتستولي عليه، ظهرت عليها العصبية. كانت متأكدة أن هذه المرأة لن تروق لها أبداً. إذا راقتها يوما ما كانت "راي" هذه تشارك "چاك" جزءاً من حياته لم تستطع هي أن تشاركه إياها. نظرت إليه وقالت بصوت فضولي:

-هل هي متزوجة؟

-كان ذلك قبل أن نتعاون سويا ونتقاسم العمل معا في وحدة مكافحة المخدرات. كان عملها بالوحدة قد أصاب علاقتها بضربة في الصميم.

كان هذا العمل سبيل إنهاء علاقتهما. حقيقة أنها لم تتحدث في ذلك طويلا، لكن كان لدي شعور دائما بأنها تحب زوجها السابق.

دقق "چاك" نظره لحظات في لهيب الشموع قبل أن يتلاقى بنظره مع نظرات "نيلا".

www.alkottob.com

-إن "راي" مثلي تماما عندما تتعلق بأحد فإنها تظل وفية له حتى لو عرض ذلك حياتها للخطر.

فهم "چاك" أن "نيلا" قد فهمت الرسالة عندما أسدلت عينيها من أمام نظراته الثاقبة، لكنها يا ترى هل صدقت ذلك؟

-أرى ذلك.

قالت "نيلا" بصوت هادئ بعث في نفس "چاك" الأمنية أن لو كانا في مكان آخر.

كان هذا الصوت الرخيم ذو النبرة الهادئة يثير لديه ذكريات جزر "البهاما" وأول تعارف بينهما، كان يتمنى أن تكون قد صدقته فعلا.

حاول السيطرة على أفكاره. لقد سبق أن وعد "نيلا" بإعطائها كل الوقت الذي يلزمها لتتعود عليه. لابد له من الوفاء بعهده. إن ذلك سيزيد من مصداقيته لدى "نيلا" ويكسبه حبها. كانا يتبادلان نظرات الإعجاب والحنان عندما بادرته بسؤالها:

-ماذا عن عائلتك يا "چاك"؟ لم تحدثني عنها قط.

نظر إليها "چاك" وأجابها قائلا بدون أي انفعال:

-لم أعرف والدتي قط؛ كانت تنشئتي في ملاجئ مختلفة ثم أقمت بعد ذلك في دار للأطفال حتى سن العاشرة؛ كانت والدتي مازالت صغيرة السن للاعتناء بطفل صغير، كان يبدو أنها غير قادرة على ذلك كانت مازالت مراهقة.

كانت الدهشة تعلو وجه "نيلا" التي كان فمها مفتوحاً تعبيرا عن الاستغراب مما تسمع... كان يبدو أنها تريد أن تقول شيئا ما، لكنها كانت في حيرة من أمرها... نظرت إليه بتعجب وقالت:

-وبعد العاشرة، ماذا حدث لك؟

كانت نبرة صوتها مفعمة بالقلق والترقب لما ستسمعه.

-تعرفت بعد ذلك على "ڤيك ماديسون". كان يتدخل في إحدى

مشاجرات الشارع.

انتبهت "نيلا" على جملته ولم تستطع أن تكمل قضم قطعة الدجاج التي كانت على طرف فمها. قالت له:

-هل تنتمي لأحد رجال العصابات الأشرار؟

-ليس بالتحديد، لكنني كنت ذا ميول خبيثة إلى حد ما. رأى "ڤيك" شيئا ما أثار إعجابه بداخلي، أعتقد ذلك، شكرا للرب!

-ماذا حدث بعد ذلك؟

-كان "ڤيك" متخصصاً في ألعاب الفنون القتالية. اقترح علي أن يعلمني أصول لعبة "الأكيدو"، كنت قد رأيته يستخدمها في فض مشاجرة الشارع، لم أتمالك نفسي من الإعجاب به وقبلت على الفور.

ابتسم "چاك" قبل أن يضيف:

-كاد الفضول يقتلني لمعرفة تكتيكات وأصول هذه الألعاب الخطرة وإذا كنت أستطيع أن أعيش نهاري وليلي في صالة تمارينه لفعلت ذلك. في خلال ستة أشهر كنت أصبحت أكثر رزانة وتعقلا، فهمت أن "ڤيك" لا يريد إعدادي سريعا بأي شكل من الأشكال للمشاركة في المسابقات المحلية فقط.. لكنه كان يريد أن يصنع مني بطلا ورجلا بكل المقاييس، بعد عام آخر تبناني، وعندما مات كنت قد التحقت بالجامعة.

-هل أحببته كثيراً؟

هز "چاك" رأسه بالإيجاب ثم أضاف:

-إني أشعر باحتياجي إليه حتى اليوم.

ملأ الأكواب بالشراب. نظر إلى "نيلا" وسألها:

-هل تعتقدين أن والدتك وأختك ستأتيان إلى "دان ڤيل" لقضاء "عيد الشكر" معك؟

كانت نظرات "چاك" مترقبة للإجابة كمن يريد أن يطمئن. - معهن لا

www.alkottob.com

يمكنك تحديد أي شيء. في الوقت الحالي أختي "ماري" تسعى للحصول على الطلاق من زوجها الثاني، لكنني لن أفاجأ إذا ما رأيتها في "دان ڤيل" حتى اللحظة الأخيرة، ربما تأتي والدتي و"تولي" في الاجتماع التقليدي لعائلة "كلوڤر".

-صديقتك التي تمسك بيدها عصا "البيسبول". قالها "چاك" بنبرة سخرية ثم أضاف:

من هو "تولي"؟

وضعت "نيلا" طبقها الخالي جانبا وقالت:

-الحب الحالي لوالدتي.

-أنت تردين كما لو كان الرجال يتتابعون في حياتها بشكل مستمر.

هزت "نيلا" رأسها، علا الاحمرار وجهها خجلا منه لاستطاعته تفسير ذلك بسهولة ثم قالت:

-نعم. إنها يجب أن تتعلق دائما برجل وتحبه. ومن المثير للعجب أنها دائما لا تتعرف على شخص جاد، رزين.

شعر "چاك" بشعور ثقيل أن تشعر "نيلا" أنه غير جاد وغير رزين أرهقه هذا الشعور وتساءل في نفسه "هل خطيبها السابق تميز بهذه الصفات أم لا"؟

تابعت "نيلا" حديثها قائلة:

-في الواقع فإنني أحب جيدا "تولي"، هو لطيف جدا مع والدتي يحبها كثيرا ويعاملها بحنان وعطف ويكفي على الأقل أنه ليس كسولاً أو غير مسؤول مثل زوجها الثالث.

كان يريد أن يسأل عن عدد الرجال الذين ارتبطت بهم هذه المرأة، لكنه أيقن في نفسه أن ذلك سيضايق "نيلا" بالتأكيد... إن الاحمرار يكسو وجهها الجميل عند الحديث عن الرجال الذين مروا في حياة والدتها، ذلك يبدو واضحا جليا لكل ذي عينين؛ تراجع "چاك" عن هذا السؤال

وقال لها:

-هل يمكنني أن أعرف ماذا حدث لهذا الزوج الثالث غير المسؤول - في حياة والدتك؟

-كان يراهن أنه لن يصيبه مكروه إذا تمدد على شريط سكة حديد، كان يؤكد لمستمعيه أنه لن يصاب بأذى، سيتوقف القطار أو يمر بجانبه. إنه مخبول حقاً، في النهاية خسر حياته ومراهناته.

كان "چاك" يرتشف الشراب من كوبه الذي أوقفته الدهشة مما سمعه، في نصف الطريق وضع "چاك" الكوب أمامه متسائلا بدهشة:

-ماذا تقولين؟ أدهسه القطار؟!

-نعم، في الليل.

-أنت تمزحين. أليس كذلك؟

-لقد أخبرتك بالحقيقة كاملة. يا "چاك"

تلألأت عيناها بالسخرية المثيرة للضحك قبل أن تضيف:

-شيء مثير للضحك. لقد وجدوا صعوبة في العثور على أعضاء جسده ليضعوها في تابوت الدفن.

تعالت ضحكاتهما الساخرة على هذا التصرف الجنوني الذي أودى بحياة الزوج الثالث لأم "نيلا".

-إننا نبالغ كثيرا فيما نفعله... هزت "نيلا" كتفيها بين ضحكاتهما. إن هذا شيء بشع أن نضحك هكذا على شيء مأساوي. زادت الضحكات من جاذبية "نيلا". نظر إليها "چاك". تساءل:

- هل تتصرف أختك بنفس أسلوب والدتك؟ ألها نفس المغامرات؟

-نعم. آخر مرة حدثتها في التليفون كانت تنوي الانتقام من زوجها الثاني. كانا قد تشاجرا حول رعاية كلبهما لكنها في ذلك الوقت كانت في أحضان مدلكها الرياضي. لم تستطع أن تكمل الحديث؛ كان صوته الغليظ يقول لها: إنها مخطئة بخصوص هذه الأفكار.

www.alkottob.com

هز "چاك" رأسه وتساءل:

-كيف أمكنك أن تحتفظي بهدوئك وعقلك في وسط هذا الجو المفعم بالمغامرات والأهواء؟

-لابد لأحد في العائلة أن يحتفظ بعقله ويتصرف بعقلانية.

نهض "چاك" ولم يتفوه بأي تعليق. ذهب ووقف أمام حوض المطبخ قائلا:

-ساتولى أنا كل ذلك، ستديرين أنت مغسلة الأطباق.

لم يستمر غسيل الصحون وقتا طويلا. كان "چاك" يفكر في كيفية صياغة السؤال الذي لم يستطع أن يجد له إجابة منذ فترة ما بعد الظهيرة كان يريد أن يسألها لماذا لم ترد أن يذهبا ليتعشيا سويا في المدينة؟

كان "چاك" يرص الأطباق؛ وعند آخر طبق يضعه في مكانه توجه إليها بوجهه متسائلا:

-لقد كنت متضايقة جدا هذا الصباح بسبب ما قاله الناس عنا في الكنيسة. ألهذا السبب رفضت الخروج معي هذا المساء؟

صاحت "نيلا" قائلة:

-أوه "چاك"! هل تعتقد حقيقة أنني دعوتك إلى المنزل حتى لا يرانا أحد سويا في الخارج؟

قرأت "نيلا" إجابة سؤالها في عيني "چاك". كان يبدو على وجهه أن ذلك أقنعه. سبب ذلك له جرحاً في كبريائه. مدت "نيلا" يدها إلى ذراعه قائلة:

-إني لم أخجل أن أظهر معك على الملأ. كنت أريد فقط أن نتعارف أكثر، نعمق معرفتنا بعضنا ببعض وكانت لدي الرغبة أن نأكل سويا في المطبخ.

بدا على وجه "چاك" الارتياح.. كان كمن سعد بسماع ذلك من "نيلا".

قال لها مبتسما:

-شكرا... هذا كل ما أردت أن أسمعه منك.

شعرت "نيلا" بيد "چاك" تمتد إلى جسدها.

سرحت بعينيها في عينيه قائلة:

-"چاك" أنت تعرف أني لست مستعدة أن أخبئك هنا مثل المذنب المختفي ليطمئن روعك.

كان الشيء الوحيد الذي تريد أن تخفيه "نيلا" عن أعين الناس وربما عن "چاك" نفسه هو حبها الشديد له وولعها به.

ابتسم "چاك" وظهرت على وجهه المتلألئ السعادة الغامرة التي تجذب "نيلا" إليه أكثر. قال لها:

-إنك تدعين أنك لست ماهرة... إن لديك أكثر مما تتخيلين، يبدو أنك لا تعرفين نفسك جيداً.

-لقد رأيتك بعد الظهيرة مع "ميلز".

-حقيقي؟

كانت نظرته تزيدها عطشا إليه. تلعثمت قائلة وهي ترتجف:

-آه... أنا... أنت... كنت تدربه على فنون لعبة "الأكيدو".

جذبها "چاك" إليه:

-نعم.

-إنه ولد شقي، هو كذلك ذكي، لماح. لقد شعرت بقشعريرة في بدني من لعبكما معا وتدريبك له على فنون القتال الخاصة بلعبة "الأكيدو".

نظر إليها "چاك" وأمسكها من خصرها محتضنا إياها.

-ذاك لا يدهشني.

-ألم تلمح شيئا آخر؟ قالتها "نيلا" وهي تتحرك خطوة نحوه.

كانت تشعر بضعف قوتها أمامه.

-عمن؟

www.alkottob.com

-عن "ميلز"...

لم تستطع ان تقاوم رغباتها أن تلقي بنفسها بين ذراعيه وتحيط عنقه بيدها.

-إن له قطا مخططا "سوجر".

داعبت المراة ذقنه قائلة:

-كن جاداً.

-إني لم اكن جاداً في حياتي مثلما انا الآن. هل أستطيع أن اقضي الليل معك؟

تولدت العاطفة بداخلها وإحساسها بالاحتياج إليه، لكنها رغم ذلك ردت بصرامة:

-لا.

- موافق.

تنهدت "نيلا" بارتياح. كانت تخشى أن يسبب رفضها حرجا لـ"چاك".

-"ميلز" لديه مشاكل في الاتصال بالآخرين، يجد صعوبة في ذلك. اليس كذلك؟

نظرت إليه "نيلا" معجبة بذكائه وفطنته كانت نظراتها إليه تشع عطفا وحناناً

-إذا استمرت نظراتك هذه إلي بهذا الشكل يا "نيلا" فإنني غير مسؤول عن تصرفاتي.

-يجب أن نكون دائما مسؤولين عن تصرفاتنا. اجابته "نيلا" وهي مبتسمة ثم أضافت:

-لقد فحصت الصغير جيداً. إنه هش، أي شيء يمكن أن يصدمه. "چاك" لا تبدأ أي شيء، إذا لم تكن لديك نية المكوث هنا، فلابد أن تنهي أي شيء تبدؤه وتعطيه حقه من الاهتمام والوقت.

لم يرد "چاك" مباشرة. كانت "نيلا" لا تتكلم فقط عن "ميلز". كان الاثنان

يفهمان بعضهما البعض جيداً.

-إني أفهم ما تقصدينه يا "نيلا"، ما تريدين أن تقوليه مفهوم.

كان صوته هادئا. أكمل جملته قائلا:

-إنني لا اتهور أبداً عند مداعباتي لامراة.

تلألأ وجه "چاك" بابتسامته. كانت "نيلا" تبتعد عنه، ذهبت لفتح درج وأخذت شيئا منه، نظرت إلى "چاك" وهي عائدة ثم قالت له:

-اعطني يدك.

مد "چاك" يده إليها. وضعت في يده مفتاحاً قائلة:

-لا تضيعه يا "چاك".

ضم "چاك" أصابعه بقوة على برهان الثقة الذي أعطته "نيلا" له.

في صباح الاثنين توافد على متجر "نيلا" بدون توقف تقريبا كل أصدقاء جيرانها وكل الأنواع الجديدة من الزبائن الذين لم ترهم من قبل وكذلك زبائنها القدامى. كل هؤلاء أتوا ليستفسروا عما حدث في الحانوت في يوم السبت الماضي. كانت "نيلا" ترد بصبر وهدوء على أسئلتهم.

نعم "چاك" صديق جديد لها تعرفت عليه أثناء قضائها إجازتها في جزر "البهاما".

نعم إنه صديق لها تسكنه في المنزل الصغير الموجود في آخر حديقة فيلتها.

لا، هي لا تعرف على وجه التحديد كم من الوقت سيقضي في "دان فيل" نعم، لقد عاش حياة مغامرات.

كانت إجابات "نيلا" على المستفسرين تتسم بالرزانة والتعقل كذلك وخلال ردودها- صححت بعض الشائعات والأخطاء.

ترك "چاك" وحدة مكافحة المخدرات وأنهى عمله بها. لقد أتى إلى المدينة ليراها هي وليس ليقوم بإحدى عمليات الشرطة في تعقب

www.alkottob.com

المجرمين ومهربي المخدرات في المدينة الصغيرة.

نحو الظهيرة كانت ذروة الفضول لدى العامة قد شبعت... لم يبق في المتجر سواها ومعها صديقتها الحميمة "انچي" والعمة "كلوڤر" كانتا "نيلا و"انچي" قد تعودتا على تناول طعامهما الواحدة تلو الأخرى بالتبادل حتى يظل المتجر مفتوحا وكانت أحيانا ولمرات عديدة في الأسبوع تظل العمة "كلوڤر" بجانب إحداهما تشاركها الطعام.

هذا اليوم خصيصا وعلى غير عادتها، قررت "نيلا" غلق المتجر استثنائيا. تركت زميلتها في المطبخ لتجهز سندوتشات خفيفة وبعض السلطات وذهبت تبحث عن "چاك" لكي تدعوه ليشاركهما الطعام.

كان الجو لطيفا، هادئا في هذا الوقت من شهر نوفمبر... عبرت الحديقة ببطء، بحركة ميكانيكية منها مدت يدها لتنزع المشط الذي تجمع به شعرها، أسدلت شعرها على كتفيها ووضعت المشط في جيب سترتها.

تطايرت حولها بعض أوراق الشجر المتساقطة بفعل الهواء، تذكرت في هذه الأجواء ذكريات طفولتها مع "انچي" حيث كانتا تذهبان للعب في مثل هذا الوقت من الخريف في الحديقة، كانتا تجمعان أوراق الشجر المتساقطة والمتناثرة على أرضية الحديقة وكانتا تلهوان بها تغمرهما البهجة والسعادة.

لابد أن "چاك" لم يعرف مثل هذه السعادة في طفولته، لم يكن لديه سوى شوارع "ميامي" يلهو فيها.

كان باب المنزل الصغير مفتوحاً على مصراعيه. توقفت "نيلا" عند عتبة الباب. كان "چاك" منحني الظهر، مرتديا شورتا، كان يقوم بدهان بعض أجزاء المنزل الصغير، كان يمسك الفرشاة بيده القوية.

سلب هذا المنظر لب "نيلا". كان هذا الجسد القوي، الرائع مستغرقاً في العمل. لكنها تساءلت في نفسها "إذا ما كان عقل "چاك" مركزاً في

شيء آخر". كانت نغمات الموسيقى تملأ المكان... شردت "نيلا" بعيداً، ملأ الشوق قلبها واستولت الرغبة عليها ولعبت الأفكار برأسها أيما لعب.

كان "چاك" يشعر بوجود "نيلا"، كانت نظراتها الملتهبة شوقا وحنانا تخز ظهره.

-هل أقبلت لتشرفي على عملي؟

قالها "چاك" بدون أن يتحرك وكانت "نيلا" تلتزم الصمت. استمر الوضع برهة إلى أن استدار "چاك" نحو الباب. تلاقت نظراتهما كانت كما لو كانا يريان بعضهما بعضاً لأول مرة، كانت نفس النظرات التي تبادلاها في الكازينو وأشعلت بينهما وميض الحب والإعجاب. ظلا صامتين لفترة طويلة. كانا يظهران لأي غريب كالتماثيل، لم يتحركا كانا سابحين في الخيال، مرهفين لأنغام الموسيقى وصوت الريح الهادئ والضربات العنيفة المتلاحقة لقلبيهما.

ردت أخيراً:

-لا. إنك تقوم بعمل رائع.

حركت نظراتها شوقا إليه. سألها إذا كانت قد مرت بصباح عصيب في المتجر أو إذا كانت لا تزال في ريبتها نحوه.

وأبدى لها رغبته الشديدة في ضمها بعنف بين ذراعيه.

فكر "چاك" أن هذه المرأة تخصه... لابد أن يفعل أي شيء لكي يضمن لها أمنها وسعادتها.

-إن السقف قد انتهى، لابد أنك قد بدأت مبكراً.

-نعم. لقد وجدت مشقة في النوم.

-إن جسدك لم تسقط عليه أي قطرة من الدهان... يبدو هذا رائعا.

- إن لي أسلوبي. اقتربي سأعرض عليك ذلك.

-ما هذه الموسيقى؟

www.alkottob.com

سالته "نيلا" وهي تقترب. كانت مرتدية "چيبا" طويلة تلتصق برجيلها كلما خطت خطوة.

-إنها "طريق الحرير" لـ"كيتارا".

كانت "نيلا" تخفي عذوبتها وجمالها اليوم تحت چيب جميلة ذات الوان متعددة: ازرق سماوي، اصفر وابيض كانت مصنوعة من القماش الاسكتلندي وكانت ترتدي قميصاً ابيض اللون وسترة صفراء.

-إنها موسيقى رائعة... قالتها "نيلا" وهي تقترب منه، توقفت بالقرب منه، قال لها:

-خذي، أمسكي الفرشاة هكذا.

وضع "چاك" الفرشاة في يديها الجميلتين كما يجب أن تمسكها.

-افردي قامتك.

ضغط "چاك" على عمودها الفقري حتى استقام كالعمود.

داعبت خصلات شعرها المتدلي - على جبهتها وعنقها - خدودها ولم يتمالك "چاك" نفسه أن يحضنها ويقبلها، شعر "چاك" بقشعريرة جسدها واهتزازه.

همس في أذنيها:

-أغلقي عينيك. استرخي، استمعي للموسيقى واتركي نغماتها تداعب خيالك، تخيلي الفرشاة وكأنها جزء من يديك. رفع ذراعها الساكن تغمره رغبة أن يعانقها ويشعر برائحتها العطرة كما كان الوضع في الجزيرة الاستوائية.

همست له بصوت أنثوي هادئ:

-"چاك" طريقتك، الن تريني إياها؟

فتحت عينيها.

-نعم يا عزيزتي. حركي أصابعك فقط، غطي المسافة التي أمامك

هكذا، إنها هارمونية الحركة.

التزمت "نيلا" الصمت، كانت تترك نفسها لأنغام الموسيقى التي كانت تسيطر عليها وتحركها كراقصة ساحرة في يدها فرشاة، تولد لديها إحساس عميق بأن هذه الموسيقى الرائعة تبدو كالساحر الماهر الذي يسرق لب وعقول متفرجيه قبل عيونهم.

-"نيلا".

نطق "چاك" اسمها بنبرة تعلوها الرغبة الكامنة في الاستحواذ والتملك.

كان يبدو عاجزاً عن ذلك. كيف يمكن لمثل هذا الرجل القوي أن يعبر عنه رغبته المبؤوس منها بهذا الشكل؟

كانت أحاسيسهما تندفع وتتدافع نحو بعضهما البعض بقوة وسرعة.

-يا عزيزتي، إنني أبذل كل ما في استطاعتي لإعطائك الوقت المناسب. إني أعرف أنك لم تفهميني بعد جيداً، لكنني في احتياج لك لدرجة لا تتخيلينها.

خفض "چاك" رأسه ليطبع قبلة على عنقها الجميل. أسدلت "نيلا" جفونها وسرحت في عالم من الخيال بعد ما شعرت برعشة تتخلل جسدها من جراء قبلته التي لا تقاوم. اقترب وجه "چاك" أكثر من جسدها هامساً اسمها بصوت غريزي رجولي. كان واضحا أن درس الدهان قد انتهى وفقد "چاك" السيطرة على نفسه. اقترب منها أكثر حتى أصبحا متلاصقين، مد يده إلى يدها ونزع بخفة ورشاقة فرشاة الدهان من قبضة يدها قائلا:

-ما رأيك في أسلوبي وطريقتي؟

دارت "نيلا" حول نفسها وعيناها تلمعان خجلا، تركت الفرشاة من يدها كلياً قائلة:

www.alkottob.com

-خذ. انت تعرف جيداً ما أفكر فيه. إنني في اضطراب هائج من جراء طريقتك الغزلية هذه.

-لكنها رائعة. أليس كذلك؟ سألها "چاك" مبتسماً. لا تستطيعين إنكار ذلك.

قالت له:

إنك جريء جداً. ما اللعبة التي تلعبها معي؟

اختفت ابتسامة "چاك" ومعها أيضا غمزاته. وضع "چاك" الفرشاة جانبا على العازل الأرضي الذي يحمي باركيه المنزل من سقوط الدهان عليه، جذب وجه المرأة بكلتا يديه. وفي لحظات تاه الاثنان في قبلة قلبت كيانهما، وحينما رفع "چاك" رأسه عنها قال:

-إن هذه ليست لعبة يا "نيلا".

ابتعدت عنه فجأة قائلة:

-الغداء جاهز. "كلوفر" و"انچي" ستكونان معنا، إذن يجب أن تتصرف كما ينبغي. بالرغم منه، أعجب "چاك" بطريقة خروجها من المنزل؛ كانت تشبه الأميرة في طريقة مشيتها، كانت الموسيقى رائعة تتخللها فتبدو لمن يراها أنها تمشي على أنغام الموسيقى.

عادت "نيلا" إلى المنزل أكثر اضطرابا. كانت لا تريد أن يظهر عليها ذلك. إن هذه المرة تختلف عن سابقتها؛ لقد لمسها "چاك" بأسلوب أكثر عطفا وحنانا من ذي قبل، لم يكن الأمر مجرد تلامس جسدي، لكنه لمس جزءاً مهما بداخلها، وهي لبت النداء بروحها وجسدها معا.

كان عشقها له وغضبها منه، ممتزجين في عروقها، كانت لديها الرغبة في أن تبوح له بحبها، لكن "چاك" لا يعتقد في الحب.

يعتقد ويرى في الحب، أنه نزوة مراهقين.

كان خوفها من عدم قدرتها على كتمان حبها له والبوح به إليه قد أهمها ما بقي من النهار.

الفصل الثامن

عبر "چاك" الحديقة بخطوات بطيئة، متثاقلة... كان شعوره أنه أتى إلى "دان فيل" ليهرب من أحزانه والأخطار التي تلاحقه لينعم بهدوء النفس قد أهمه هو أيضا.

كانت أنفاسه تخرج متثاقلة، مضطربة. كان يشعر أن ما يحمله فوق كاهله يفوق قدرته، أحلامه المزعجة التي تلاحقه، التقارب البطيء بينه وبين "نيلا" وعدم يقينه من مستقبله المهني وتشوش الرؤية بالنسبة له.

همس في داخله كمن يلقي الهدوء والسكينة على نفسه ويحاول السيطرة على مشاعره:

"الصبر، الصبر. مع الوقت ستجد حلاً لكل مشكلة من هذه المشاكل التي تبدو لك عويصة على الحل ولا حل لها. الهدوء.

الهدوء، كل شيء سيتغير إلى الأفضل".

كانت "انچي" "وكلوفر" تقومان بإعداد الطعام في المطبخ، كان واضحا

www.alkottob.com

أن المرأتين لهما دورهما الخاص في حياة "نيلا" التي تعطيهما اهتماما خاصا وتشاركهما في كل مناسبة تعترض حياتها وفي كل أحداث حياتها.

ابتسم لهما "چاك" وقال:

-عمتما صباحاً. أين توجد "نيلا"؟

ردت عليه العمة "كلوڤر" بلهجة حادة:

-في المتجر. إنها تكسب عيشها من العمل. هي. على العكس من أشخاص آخرين لا دور لهم في الحياة.

كان أسلوب حديثها استنكارياً، لائماً، كانت تعتني باواني الطعام التي على المشعل، بينما كانت "انچي" ترتب الأطباق والملاعق والشوك والسكاكين على المنضدة باسلوب منمق جميل يبعث الشهية على الطعام. ما إن لمحته "انچي" حتى هرولت إليه وطبعت قبلة على خده قائلة:

-حضرتك... إنني فرحة جدا بوجودك بيننا، ولاعتنائك الكبير بابني "ميلز".

-مرتان بالأمس، ثلاث مرات أول أمس، لكن لم أره اليوم وحتى هذه اللحظة.

ضحكت "انچي" وقالت:

-إنني لن أنسى لك هذا المعروف. إنه لا يتوقف عن الحديث عنك، لقد اصبحت في نظره بطلا.

-لا تبالغي يا سيدتي. يروق لي الاعتناء بهذا الولد الشقي. إنه لطيف للغاية.

كان "چاك" يشعر بالفرحة والسعادة والخجل في نفس الوقت.

-وانت ايضا لطيف للغاية. إنك رجل عظيم. إذا لم تكن صديقا لـ"نيلا" لكنت وعدتك بأن فرصتي تكون كبيرة، كنت لن اتنازل عنك.

-آه الوعود! إن كل ما أحصل عليه وحتى هذه اللحظة من كل النساء هي الوعود، والوعود فقط.. كلام... كلام، كلام.

كانت لهجة "چاك" مرحة ونبرته تنم عن المداعبة والمزاح أكثر من الجدية. كانت مداعبة الرجال من أسلوب "انچي" المرح الذي يكسبها ود وصداقة الكثيرين تماما مثل هندامها الذي يثير إعجاب الناس. نظر "چاك" إليها نظرة ثاقبة قائلا:

-إن ملابسك تبدو عليك رائعة.

أليس كذلك؟

دارت "انچي" ولفت حول نفسها، كانت ترتدي حذاء أسود مدببا.

"كولون أبيض" تحت چيب قصيرة بيضاء من القماش الثقيل، كانت قصيرة جدا، أما البلوڤر فكان لونه أسود وتحته بلوزة وردية اللون مجسمة.

نظرت إليها عمتها "كلوڤر" باستياء وقالت لها بلهجة سخرية:

-لا ينقصك سوى أن تصبغي شعرك باللون الأحمر لتكوني كالمهرجين.

-يا لها من فكرة رائعة يا عمتي العزيزة!

طبعت على وجنتها قبلة مسموعة الصوت.

-إنني أعشق أن أكون دائما على الموضة.

-ألا تخجلين من نفسك؟ إن ذلك يعطيني عذراً مقبولاً حتى ابعدك عن العيش معي. قالتها العجوزة بحدة وصرامة، بينما كانت تسكب محتويات إناء الطعام الذي كان على النار في طبق عميق للطعام وتضعه على المنضدة بجانب أنواع الطعام الأخرى... عندما ظهرت "نيلا".

-أتيت في الوقت المناسب. عند أي حد انتهت أعمال الدهان يا "چاك"؟ كانت "نيلا" تساله أثناء جلوسهم الأربعة على المنضدة. رد

www.alkottob.com

عليها "چاك":

-لقد أنهيت حوائط الغرفة، لم يبق لي سوى النوافذ.

مدت العجوز يدها إليه بالخبز الفرنسي قائلة:

-إن المنزل الصغير لم يكن جيد الصنع، سيقع بالتأكيد خلال فترة قصيرة.

أثناء الطعام. وضحت بلاغة "چاك" كان متكلما جيداً، حكى بكل سهولة ويسر وتشويق مغامراته العديدة والمتنوعة أثناء فترة عمله بوحدة مكافحة المخدرات. تساءلت "نيلا" في نفسها.

"أهذا "چاك" الحقيقي؟ أم أنه يقوم بأحد الأدوار التي تعود أن يلعبها أمام الآخرين؟"

كانت ضحكات "انچي" المتابعة تجعلها تفقد تتابع الأحداث في روايات وحكايات "چاك"، كانت العمة "كلوفر" تصيح بلهفة متعجبة:

-إن هذا غير ممكن، شيء لا يصدقه عقل.

-إنني أؤكد لك أن ما أرويه لكم حقيقي... مرة أخرى... كنت أصيح.

- "توقفن وإلا فسأطلق عليكن النار". كان هذا الحدث في نفس المطعم وكنت أرفع يدي مهدداً إياه، وكنت أتمنى ألا أطلق النار؛ كنت لا أحمل في يدي مسدساً، كنت أهدد المجرم بسندوتشي، ومر الأمر كما ينبغي وقبضت عليه.

علقت العمة "كلوفر" على حكايات "چاك":

-إنني لم أضحك طويلا وعميقا مثل هذا من قبل.

نهضت "انچي" وقالت:

-إنني أتسلى جيدا بهذه الحكايات المسلية لكن يجب أن أعود إلى المتجر. غادرت "انچي" المنزل إلى المتجر بملابسها المهندمة والتي كانت تبدو فيها كعارضات الأزياء.

أدار "چاك" وجهه إلى "نيلا" التي كانت جالسة بجواره، أكمل "چاك"

حكاياته اللطيفة محاولا انتزاع ضحكتها الفاتنة، لكن محاولته باءت بالفشل. قال لها:

-إن حالتك سيئة اليوم. الديك مشاكل؟

-لا. إنني أفكر فقط.

كانت "نيلا" تحاول الهروب بنظراتها من أمام "چاك".

جالت بعينيها في المطبخ لتجد أي شيء يلهمها أي قول:

-عند طلبي المرة القادمة كتبا للأطفال...

صاحت العمة "كلوفر" بنبرة هجومية:

-أتمنى ألا تطلبي مرة أخرى نفس الإصدارات.

امتعض وجه "نيلا" اصفراراً:

-أي إصدارات؟

قلبت العمة "كلوفر" قائمة من الأسماء التي كان واضحا أنها تحفظها عن ظهر قلب؛ اندهشت "نيلا" لذلك وقالت:

-إن الشباب مولعون بها، إنني أبيعها تماما مثل بيعي للخبز.

- إنها ليست لها فائدة مثل ما يشاهدونه في التلفاز... إنها كتب وبرامج وأفلام ومسلسلات غير مجدية، أنت يجب أن تنمي بداخلهم الأدب الحقيقي.

-إني على يقين أن كتبي ليست من روائع الأدب الكلاسيكي أو حتى المعاصر، لكن ألا تتفقين معي أن ما يهم بالنسبة لسنهم هو دفعهم للقراءة والتعود عليها، أن يتعرفوا في هذه السن الصغيرة على متعة القراءة ولذاتها.

-إن ما تبيعينه لهم لا قيمة له.

-سأفكر حتما في الأمر جيداً.

-إني واثقة أنك ستفعلين الصواب، وكل ما هو ضروري. لقد كنت دائما فتاة جادة، عاقلة حكيمة. وفي النهاية أنت دائما هكذا.

www.alkottob.com

قالت العمة "كلوفر" جملتها الأخيرة وهي تحدق في وجه "چاك".

نهضت وتناولت أواني الطعام واتجهت نحو حوض المطبخ.

شعر "چاك" بعدم رضا من انفعال "نيلا". كانت المرأة متأثرة بكلام العمة "كلوفر"، كان ذلك يبدو واضحاً، إذا كانت تتيح الفرصة للآخرين ليملوا عليها طريقة عملها وما يجب عليها ومالا يجب فإنها بذلك تخاطر أيضا إذا أعطت لهم فرصة إبداء آرائهم في مشاعرها نحوه...

ضايقت تلك الفكرة "چاك" وشعر معها أنه ليس عليه فقط إلا كسب ثقة "نيلا" وإنما أيضا "انچي" وربما الصغير "ميلز" كانت المرأتان متداخلتين في حياتهما بأكثر مما ظن لأول مرة.

وضعت "كلوفر" الأواني في الحوض قائلة:

-لقد تلقيت رسالة من والدتك يا "نيلا" وبها صورة لها مع هذا المعتوه "تولي"، يبدو الاثنان في الصورة أنهما سعيدان مع بعضهما البعض.

- قالت "نيلا":

إن هذا شيء لطيف.

نهضت "نيلا" بدورها وقالت:

-اتركي الأطباق، ساتولى ذلك.

قام "چاك" من مكانه ليساعد "نيلا".

نظرت إليهما العمة "كلوفر" ثم قالت:

-كتبت إلي "إيمي" مخبرة أنها ربما تأتي لقضاء "عيد الشكر" بينما أدارت "كلوفر" وجهها إلى "چاك" قائلة:

-إذا كنت ستظل في "دان ڤيل" حتى "عيد الشكر" يمكنك أنت أيضاً أن تحضر الاحتفال الكبير الذي أقيمه عندي.

نظر "چاك" إلى "نيلا" سارحا في أفكاره. كان شيء ما صغير قد تعلق بين حاجبيها، كانت لديه الرغبة أن يمد إليها أصابعه ليزيل ذلك

الشيء الذي تعلق بوجهها، سيطر على رغبته واقترب من المرأة العجوز قائلا:

-إنني أتمنى أن أظل بينكم طويلا، إنه من دواعي سروري أن أشارككم احتفالكم بـ"عيد الشكر". شكرا يا سيدتي على هذه الدعوة اللطيفة.

كانت "كلوفر" تتفحص وجهه. هزت رأسها كما لو كانت تبدي له رضاءها بما يقول، ربتت على يده قائلة:

-هذا حسن.

خرجت من المطبخ، لكنها قبل أن تختفي عن الأنظار التفتت إلى "چاك" قائلة مرة أخرى بلهجة يغلب عليها النصح:

- إذن من الأفضل أن تقص شعرك يا "چاك". إنك تبدو بهذا الشكل مثل الفتيات.

رفع "چاك" حاجبيه بينما كانت "نيلا" تضع الجبن في الثلاجة.

كان واضحا أن "نيلا" لم تسمع جيدا ما قالته العمة "كلوفر" لـ"چاك" أثناء خروجها. وضع "چاك" الأطباق بيده في غسالة الأطباق، بدا على "چاك" الهم وتساءل في نفسه.

"إلى أي مدى يمكن لـ"نيلا" أن تقبل تدخل الآخرين في حياتها؟

هل يلزمه حرب يعرف أنه سيخسرها مقدما لكي يدخل في حياتها؟"

سألها مستفسرا وحتى يخلع من قلبه ما أهمه:

-هل تشعرين أنني أشبه الفتيات يا "نيلا"؟

ردت عليه "نيلا" باستنكار محاولة كشف ما يدور بخلده:

-فتاة؟!

-العمة "كلوفر" ترى أن شعري الطويل يجعلني أشبه الفتيات.

أريد أن أعرف ما يدور بخلدك أنت.

احمر وجه "نيلا" خجلا وهي تستعيد ذكريات لقائهما الأول في جزر

www.alkottob.com

"البهاما" وكيف كان "چاك" في كامل رجولته حتى بشعره اللطيف المسدل على كتفيه... كان منظر شعره على كتفيه يزيده جاذبية.

كانت "نيلا" مفتونة بهذا الشكل المغري.

صاح فيها "چاك" فاقدا أعصابه وصبره:

-أعطيني مقصاً.

-"چاك"... أنا

-مقصا.

-لكن

زاد من غضبه وشعر معه بحرج عميق. ترددت "نيلا" في الإجابة عليه؛ كان هائجا كالثور. ذهب بنفسه يبحث عن مقص في الأدراج، عاد إليها وفي يديه مقص قائلا لها:

-اقطعي لي ذلك، إذا لم يكن يبدو علي هيئة رجل محترم فاقطعي لي ذلك.

أخذت منه المقص وألقت به في حوض المطبخ قائلة:

-چاك. توقف عن ذلك إنك تروق لي كما أنت... أنا...

بحركة طبيعية مدت إليه وجهها ليقبلها لتعبر له عن حبها له وشغفها به.

خفضت عينيها وهمست:

-إنني لم أشك لحظة في كونك رجلا محترما منذ اللحظة التي أخبرتني فيها بانك لست غاويا للنساء.

بعد لحظة كانت "نيلا" ترتمي بين ذراعي "چاك" في قبلة أحست معها بغضبه الشديد من عبارة "كلوفر" له، وكذلك أشعرتها برغبته العميقة التي استجابت له عفويا. لفت عنقه بذراعيها، ضغط عليها "چاك" بقوة رغبته وتسللت يداه إلى كتفيها؛ شعرت "نيلا" مع حركاته الساحرة حول جسدها أنه امتلكها تماما قال لها هامسا:

-عزيزتي، ماذا قررت بخصوص موضوعي؟

-لا أعرف.

بدا صوتها مبحوحا كما لو كانت الدموع تخنقه وعيناها زائغتان وهي تشرح له موقفها قائلة:

-لقد فكرت مليا لكنني لم أجد أية إجابة. إنني تغيرت تماما منذ أن تعرفت عليك، لم أعد أعرف من أنا. إن هذا يبدو مرعبا يا "چاك".

وجدت "نيلا" صعوبة جمة في السيطرة على نفسها والرجوع إلى حالتها الطبيعية قبل أن تساله بجدية:

-ماذا تريد مني صراحة يا "چاك"؟

-إن ما أتمنى أن أعطيه لك هو: رباط مقدس من الإخلاص. أعتقد أننا يجب أن نتزوج.

انفجر الرعب والهلع بداخل "نيلا" من بركان السعادة الغامرة.

تفحصته جيدا ثم همست له:

-أنت لم ترد أن تقول هذا.

-بلى، إنك شغلت تفكيري منذ أول لحظة رأيتك فيها. إنني أجهل حقيقة ما سأفعله بقية حياتي لكن هناك شيئاً واحدا مؤكداً. إنني يجب أن أعيش بجانبك.

سيطر هلع "نيلا" على كل ما سواه من مشاعر: "چاك" يريد أن يتزوجها لكنه لا يحبها.

-أنت لست مضطرة لأن تعطيني ودك في الوقت الحالي، كل ما أطلبه منك هو أن تتبعي غريزتك، ولا تحاولي مخالفة مشاعرك الشخصية... ثقي في حكمك الشخصي علي، على شعري وعلى كتب الأطفال التي سوف تطلبينها.

تركها سريعا بعد قبلة حانية صغيرة.

قالت له في ظهره وهو في طريقه إلى الخارج:

www.alkottob.com

-إنني لا أرى العلاقة بين كتب الأطفال التي أبتاعها وشعرك.

استدار إليها قائلا:

-فكري جيدا يا صغيرتي. ما هو الرأي الأهم بالنسبة لك عن شخصي؟

رأيك أنت أم آراء الآخرين؟

تابعته "نيلا" بعينيها. كان بهما الكثير والكثير ليقرأه ويعرفه.

كم من الوقت ينبغي أن يمر لكي يكتشف حبها العميق له؟ ربما عرف، ربما كان ذلك هو الداعي لأن يطلب منها الزواج.

فكرت "نيلا" في كل ذلك وهي عائدة إلى المتجر وقالت في نفسها "لو كان فقط يحبني!"

بادرتها "انچي" بتعليقها حول حكايات الغداء عند دخولها المتجر قائلة:

-لقد كان "چاك" رائعا اليوم... كنت أستمتع جيدا بروايته المسلية، لن أمل من سماعها حتى المساء... إنه يعشقك يا "نيلا"، وأنا سعيدة جدا لك.

كانت "انچي" تلف مهداً صغيراً لطفل طلبه أحد الآباء لمولد أول أولاده. ردت عليها "نيلا" وهي تعطيها الشريط اللاصق الذي يمسك "السلوفان" الملفوف به المهد الصغير:

-إني أريده.

-هذا بالتأكيد... إن ذلك واضح لكل ذي عينين. أنت تحبينه أليس كذلك؟

-بلى.

-إذن ما المشكلة؟

-إذا عرفت! لقد أشعل بداخلي نار الحب منذ أول لحظة رأيته فيها. إن الحب لهذه الدرجة شيء مخيف، وللأسف فهو لا يعتقد في

الحب.

-لا أفهم ما تقصدينه... في رأيي الشخصي فإنه يحبك.

إن ذلك يبدو واضحا في عينيه.

نظرت "نيلا" إلى صديقتها نظرة اعتراف كاملة ثم أضافت.

-مع "فرانك" كنت ساتزوجه بدون حب، لكن مع "چاك" الأمر مختلف، ولا أستطيع أن أجبره على حبي.

لفت ذراعيها حول صدرها وقالت:

-إنني حتى لا أعرف ما الذي يعجبه في، ولا أستطيع أو أجرؤ على الاعتراف بحبي له.

-ربما يمكن أن يكون خائفا من الحب؟

-بالتأكيد لا إن "چاك" لا يخاف من شيء.

أشعلت "انچي" سيجارتها قائلة:

-آه! هذا ليس مستحيلا. إننا كلنا لنا نفس العيوب والخطايا، نتمنى روعة الحب ونخاف منه في نفس الوقت.

-أنت ألم يكن لديك أية مشاكل مع الرجال طوال حياتك؟

-أنا؟

أخذت "انچي" نفسا عميقا من سيجارتها ثم قالت:

-إنني عرفت أقوى حب في الدنيا وسبب لي ذلك ألماً كبيرة.

ملأ العطف قلب "نيلا" كانت "انچي" متزوجة من رجل يكبرها بعشرين عاما وكان يعمل في مجال العلوم العلمية وينتمي إلى أسرة راقية ولم تستطع "انچي" أن تنسى أبدا حادث غرقه.

-إن "چون" ينقصك دائما، إنك تفتقدينه أليس كذلك؟

-لا يمر عليّ يوم إلا وأشعر أنني افتقده أعرف أننا كنا نبدو كزوجين غير متجانسين، لكن "چون" كان رجلا رائعا، عطوفاً. برغم عدم ثرائه أو جمال خلقته. كنت أعشقه لأنه كان يرى في رفيقة عمره الجديرة

www.alkottob.com

بمشاركته في الحياة، كان يرى شخصيتي الحقيقية التي طالما اخفيتها وراء مظهري الخداع، كان يحبني بالرغم من أخطائي الشخصية. بالنسبة لي فإن العاطفة، والحنان كانا يتجسدان فيه، أبدا لن أجد رجلا مثله، لن أشعر بعاطفة نحو رجل مثلما شعرت نحو "چون"

مسحت "انچي" دموعها وأمسكت يد "نيلا" بشعور من الاحتياج وأضافت:

-أتمنى أن تشعري بالسعادة التي شعرت بها مع "چون" مع رفيقك "چاك". إذا كان ذلك ما تشعرين به نحو "چاك" فلا تترددي في الفوز بسعادتك، اجعلي الحب ينتصر ولا تهتمي بشيء آخر.

ظل "چاك" بقية الأسبوع يتابع أعمال الدهان في المنزل الصغير الذي كان يعيش فيه، كان يقابل "ميلز" ويلقنه دروس "الأكيدو" محاولاً أن يدربه جيدا ويغرس فيه فنون القتال... كان يجتهد ليجعل أكبر جزء من وقته لـ"نيلا"... صحيح إنه لم يشر مرة أخرى إلى الزواج ولم يفتح الموضوع بشكل أو بآخر لكن محاولته للتقرب من "نيلا" والفوز بثقتها كانت محط أنظار الجميع.

في مساء الأربعاء. خرجا سويا للعشاء في المدينة ثم ذهبا بعد ذلك إلى دار السينما، في الغد كانا يتتبعان لحظة غروب الشمس مستلقيين على ظهريهما، يشاهدان المنظر الطبيعي الساحر من الكشك الصغير الموجود في آخر الحديقة. لم يتكلما أثناء لحظة الغروب الرائعة. كان "چاك" يعشق هذه اللحظة ويعتبر مشاهدتها بهدوء وصمت من أسعد لحظات حياته.

في مساء الجمعة... دعا المرأة إلى متابعة دروس "الأكيدو"، وكانت تبدو طالبة مجتهدة؛ كانت تتابع باهتمام وإنصات شروطه لقواعد لعبة "الأكيدو" لكنها كانت تشك في قدراتها كامرأة في أن تتقن هذه

اللعبة وتستطيع من خلالها أن تعيد للأشخاص اتزانهم الجسماني وكذا الاتزان النفسي والعقلي.

- عشت طويلا بدون اتزان نفسي أو شيء مهم في حياتي لكنني في الوقت الحاضر فإنني أشعر بأنني استعدت توازني وأنا بجانبك.

انتهى لقاؤهما عندما عانقته "نيلا" بعطف شعر معه أن قلبه يهيم شوقا وسعادة. شيء واحد ظل يؤرقه كانت أحلامه المزعجة تكدر وتنغص عليه حياته، لم يعد يستطيع أن يقضي الليل بمفرده بعيداً عن "نيلا".

www.alkottob.com

الفصل التاسع

في مساء السبت كانت "نيلا" ترتدي ملابسها حينما سمعت رنين جرس الباب... نظرت في المرآة وشعرت أن جيبتها. الطويلة السوداء وقميصها الأبيض وسترتها الفضفاضة من القطيفة تناسب السهرة التي سوف تقضيها مع "چاك" تلبية لدعوته.

كانا سيذهبان للعشاء والرقص سويا في نادي المدينة.

رن الجرس من جديد ونزلت "نيلا" لتفتح الباب، ظنت أن "چاك" الذي اعتاد الدخول والخروج في المنزل وقتما يشاء وكيفما يشاء، لا يريد أن يفاجئها بوجوده بين جدران المنزل في هذه الليلة بالذات، كأنما كان يريد أن يستأذن للدخول عليها بالرغم من أنها أعطته مفتاحاً..

-أنت لم...

لم تستطع "نيلا" أن تكمل جملتها من فرط دهشتها... انعقد لسانها وظلت يداها معلقتين بيد الباب الذي ظل مواربا.

كان الزائر خطيبها السابق "فرانك".

-مساء الخير يا "نيلا". آسف لحضوري المفاجئ بدون موعد سابق، لكن يجب أن أحدثك ولم يكن الاتصال الهاتفي مناسبا لذلك الحديث، ففضلت أن آتي...

-أوه... نعم، لكن لبضع دقائق فقط... إنني مرتبطة بموعد هذا المساء.

-شكرا لك على كرمك. إنك تبدين فاتنة.

دخل "فرانك" ومر بجانبها طابعا على خدها الأيمن قبلة سريعة... أغلقت "نيلا" الباب ودار بفكرها السبب الذي من أجله حضر "فرانك" إلى "دان فيل"..إنه يجب أن يكون الآن في "لاس فيجاس" مع زوجته، تلك السكرتيرة البلهاء التي هرب معها وترك "نيلا" غارقة في الجرح الذي تسبب فيه. أشارت إليه بيدها إلى الصالون. هناك جلسا متواجهين. قالت له:

-ماذا لديك يا "فرانك" لتقوله لي؟

ظل صامتا في وسط الحجرة، محدقاً في الفراغ. كان يبدو أن الرجل حائر. لا يعرف من أين يبدأ الموضوع الذي قطع من أجله هذه المسافة.

-أعتقد أنك لا تريدين الحديث معي. تعتقدين في... إن ذلك يبدو صعبا.

كان "فرانك" من طبيعته الوضوح واللباقة، كان محدداً ومنظما لكن لأول مرة تراه متردداً في الحديث. كان يفكر مئات المرات في الكلمة قبل أن ينطقها.

-أتمنى أن تتحلي بالصبر. في الطائرة قررت شيئا ما.

كانت "نيلا" تشعر بالغيظ والإحباط في نفس الوقت. بدا لها الأمر كما لو كانت على وشك الوقوع في فخ. أرجعت ظهرها واستندت إلى ظهر المقعد لتستطيع أن تراه بصورة أفضل. كانت تريد أن تبدو متماسكة ولا تظهر له حنقها وغيظها من تصرفاته، كانت لـ"لفرانك"

www.alkottob.com

هيئة وقور ووجه جذاب بعينين واسعتين رماديتي اللون.

-فلتقل مباشرة ما تريد. إن هذا أفضل شيء بالنسبه لي ولك.

هز رأسه لها وابتسم قائلا:

-إنك تبدين فاتنة، دقيقة ومتفاهمة للموقف.

شعرت "نيلا" أنها تريد أن تقهقه عاليا من نبرة صوته التي غلب عليها الاقتناع... كان لا يشعر أنه أزعجها بوجوده في "دان ڤيل" في مثل هذا الوقت.

-تعرفين يا "نيلا". انني دائما أشعر معك بأمان وسعادة، هذا من الأشياء التي أحبها فيك.

رفعت "نيلا" حاجبيها مندهشة قبل أن يضيف:

-لا أعرف ما الذي أصابني... حتى... آه... أتعرفين حتى متى؟

نهض الخطيب السابق وجلس بجوار "نيلا" على الأريكة. ثم قال:

-لقد جئت أعتذر إليك عن تصرفاتي غير المسؤولة.

-إن هذا شيء لا يدعو للاعتذار. إن الحب دائما ما يفقد الإنسان عقله واتزانه، إن هذا شيء بديهي.

-"نيلا" لم يكن هذا حباً، لقد كانت مجرد نزوة.

أضاف:

-لقد انتهت في الوقت الحاضر.

نظرت إليه نظرة جانبية. أضاف "فرانك":

-عندما فهمنا - "تينا" وأنا - أن زواجنا كان خطأ ابتعدنا عن بعض. إن "تينا" سكرتيرة رائعة ولكن...

-لا تخبرني أنك هجرت هذه الفتاة الفقيرة.

-بالتأكيد لا. إنها سافرت إلى "رونو"، وسوف تقيم دعوى للطلاق، سوف أتحمل كل النفقات... على الإنسان دائما أن يدفع ثمن كل أخطائه، لكني أتمنى ألا تغالي في ثمن أخطائي نحوك... إنني مستعد

أن أتحمل نتيجة أخطائي، لكنك كما تعرفين تمثلين لي كل شيء في الحياة.

كان "فرانك" يحيط ظهرها بيده. ظلت جالسة ومتماسكة بهدوئها. قالت له:

-إنني لا أرغب فيك يا "فرانك"، إني آسفة، إن الأمور لم تسر في صالحك، لكن.

انتفض "فرانك" واقفا:

-هل تعلقت بأحد ما؟

كان الأمر مفاجئا له. انثنى على ركبتيه متوسلا إياها:

-ما الذي حدث؟ اعذريني.

أمسك يديها وقبلها قائلا:

-إنني لم أستطع أن أستغل فرصة وجودي بجانبك، إنني أحمق لتصرفي الشائن معك هكذا، إنني أفتقدك... إنك تمثلين لي أعز رغبة في أن...

-إن ما ستفعله في الوقت الحاضر أنك ستذهب إلى الباب، قطع هذا الصوت الجهوري المهدد جملة "فرنك" وهو جاث على ركبتيه يقبل يدي "نيلا". ثم أضاف صاحب الصوت:

-وإذا كنت تفضل السلام والهدوء؛ فإنني أنصحك بأن تترك امرأتي.

تعلق نظر "نيلا" بـ"چاك".

لم تشاهده أبدا في مثل هذه القوة والاستثارة.

كان واقفا على عتبة المنزل. كان يبدو قويا، ثائرا يستعد كالأسد الذي ينظر إلى ضحيته القادمة التي جرؤت على دخول عرينه ولمست إحدى ممتلكاته.

ضغط "فرانك" على يدي "نيلا" بقوة وحاولت هي أن تبتعد عنه بدون جدوى، أثار هذا التصرف "چاك" أكثر، تقدم ببطء وثقة نحوهما. نظر

www.alkottob.com

إليه "فرانك" شذرا وقال:

-إنني أجهل من تكون لكنني أحذرك من تجرئك الكاذب هذا إنها خطيبتي. اخرج في الحال وإلا فسأستدعي لك الشرطة.

تململت "نيلا" من رد "فرانك" وصاحت:

-أوه! لا يعقل أن يحدث ذلك مرة أخرى.

نظر إليها "فرانك" موجها حديثه:

-هل تعرفين هذا الشخص؟

كان "فرانك" لا يزال جاثيا على ركبتيه ممسكا بيدي "نيلا" عندما ردت عليه:

-نعم، إنه "چاك ماديسون". ضيفي.

ثم نظرت إلى "چاك" قائلة:

-"چاك" أقدم لك "فرانك" خطيبي السابق.

نظر الرجلان إلى بعضهما البعض شذرا وحنقاً . أخذا يتصرفان كغريمين. بدأ "چاك" الحديث مع "فرانك" بلهجة مهددة وصارمة قائلا له:

-إنني رجل هذه المرأة.

نهض "فرانك" واقفا مندهشا مما سمعه:

-ماذا تقول؟

امتعض وجه "نيلا" وشحب. ركزت نظرها نحو "چاك" تتفحصه بدون أن تنطق بكلمة.

نظر "فرانك" إليها متسائلا، رافعا نبرة صوته:

-هل تعيشين مع هذا الشخص؟ عندما أتذكر أنك معي كنت ترفضين دائما أن أقيم معك ولو لليلة واحدة وقد كنا مخطوبين رسمياً!

-اخرس.

ردت "نيلا" على "فرانك" باشمئزاز بينما ظلت عيناها معلقتين بـ"چاك"

الذي كان يتقدم نحوها.

قال "چاك" بإصرار:

-إن "نيلا" امرأتي، وإنني أمهلك دقيقة واحدة لتخرج من هذا المنزل.

كانت نظرة "چاك" نحوها قد ولدت شعورا بحبه لها.. فهمت جيدا الرسالة التي بعثها إليها بعينيه، انقشع لديها أي شك في عدم حبه لها.

-إن "نيلا شيفرد" لا تخصك إنني هنا قبلك وساكون أيضا بعد رحيلك اخرج من هنا وإلا فسالقنك درسا لن تنساه.

-ثلاثون ثانية أيها الوغد.

تدخلت "نيلا" في الحوار بينهما. كانت ترتجف، مضطربة قالت:

- كفا عن الحديث عني بمثل هذا الشكل. إنكما تتحدثان كما لو كنت غير موجودة. "چاك" اذهب وانتظرني في المطبخ، سانهي كل شيء هنا ثم نتناقش سويا فيما بعد.

لم يندهش أحد أكثر منها عندما وقف "چاك" خلفها ولم يتحرك.

نظر "فرانك" إليه وهو يضبط هندامه. ثم قال:

-هيا، اذهب. إنني ليست لدي النية لاستعمال القوة معك، لكن تصرفاتك تجبرني على ذلك.

صاحت "نيلا" بصوت جاد محذرة:

-توقف يا "فرانك". إنه بطل في فنون الألعاب القتالية، سيهزمك.

تدخلت مرة أخرى بين الرجلين محاولة فض النزاع بينهما.

-إنني لن أسامحك على تصرفاتك الصبيانية هذه معي يا "چاك" إن ما يحدث هنا لا يخصك.

-إن كل ما يخصك يخصني، أنت تخصيني.. أنت ملك لي.

-"نيلا" اجعلي هذا الرجل يخرس عن أقواله هذه.

وجهت إلى "چاك" مرة أخرى حديثها.

www.alkottob.com

-"چاك" إذا تشاجرت مع هذا الرجل فلن أكلمك طيلة عمري. ثم تحولت بنظرها إلى "فرانك" مكملة:

- "فرانك" إن مشروع خطبتنا قد وصل إلى نهايته عندما فررت مع "تينا" إلى "لاس فيجاس". أيا كانت أسباب انفصالنا عن بعض، لكن في النهاية فإن ذلك يبدو لي جيداً. إن الحب لم يعرف طريقه بيننا. أفهمت ذلك؟ إن ما جعلنا نقترب من بعضنا البعض لم يكن سوى الصداقة. لقد كنا نغامر بالحياة في الوحدة إذا ما تزوجنا، لابد اننا كنا سنتعارك كثيرا، ليس بيننا شيء مشترك يجعلنا نغامر بالعيش معا.

اعترض "فرانك" على تصريح "نيلا" بصوت منخفض لا يكاد يسمع:

-لكن... لكن الصداقة تعتبر أساساً جيداً لإقامة علاقة زواج. رد "چاك" بصرامة:

-لا

دارت نحوه "نيلا" وقالت بلهجة محذرة:

-إنني أستطيع أن أتحدث عن نفسي. "فرانك"، إنني أعتقد أن الرابطة التي تقوم على الصداقة لا تدوم ولا تكفي المعرفة أو الصداقة لكي نقيم عليها الرباط المقدس. كنت أعتقد ذلك فيما مضى لكنني عرفت فيما بعد أنه لا يكفي، أنت كذلك يبدو لك ذلك وإلا لماذا هربت إلى "لاس فيجاس" مع من شعرت بها وأحببتها.

تقدمت "نيلا" خطوة إلى الأمام. كانت كمن يريد النظر في عينيه ومواجهته قائلة:

-عد إلى بيتك، استدع "تينا" من "رونو" وحاول أن تصالحها. إن كل شيء قد حدث بينكما سريعا، ربما يكون ذلك هو السبب في برود العواطف بينكما.

- أنت. هل تعتقدين أنها يمكن أن تعطيني فرصة أخرى؟

كان وميض من الأمل قد أضاء عيني "فرانك" وهو يسأل "نيلا":

-إذا أردت أن تعرف اسألها. أتمنى لك السعادة من كل قلبي.

أغلق "فرانك" أزرار الچاكيت واتجه نحو الباب.

على عتبة الباب. نظر إلى "نيلا" قائلا:

-إنك على حق فيما قلته يا "نيلا". إن الصداقة لا تكفي لكي تقوم عليها رابطة الزواج المقدس، لكنني كصديق أستطيع أن أقدم لك أية مساعدة تحتاجينها وفي أي وقت.

علق "چاك" على جملته الأخيرة قائلا:

-إنها لن تكون في احتياج لك.

تنهدت المرأة بارتياح. لقد كان ذلك بالنسبة لها كابوساً مزعجاً يؤرق منامها في ليلة دافئة جميلة. لم تستطع أن تستوعب ما حدث في بداية الأمر. ما الذي أتى بهذا الرجل؟

ما الذي يريده منها؟ أيشك أنها لن تقبله مرة أخرى بعد فعلته الشائنة تلك؟ يبدو أن تفكيره ساذج. إنه لا يستطيع أن يقدر الأشياء بدقة.

أيقظها صوت الباب المنغلق وراء "فرانك". صاحت في "چاك" قائلة:

-إياك أن تتصرف هكذا مرة أخرى.

- "نيلا".

اقترب منها "چاك"، مد ذراعه ليحيط كتفيها به، لكنها ابتعدت عنه وذهبت نحو المدفأة قائلة:

-اسمعني. إنني أشعر بصداع مخيف في رأسي.

ظهر على "چاك" القلق. تقدم إليها.

-أرجوك توقف.

أطاع رغبتها واندهشت هي لذلك... قالت له وأعراض آلام الرأس تبدو على وجهها:

-"چاك"، ما الذي دفعك لأن تهدد إنساناً تحت سقف بيتي؟

www.alkottob.com

ما الذي دفعك لأن تتصرف هكذا كاحد رجال الكهوف؟

انفجر "چاك" في وجهها قائلا:

-ما الذي دفعني؟ إنني احترمت رغبتك منذ وصولي إلى هنا في حب أفلاطوني... وماذا اكتشفت بعد ذلك؟ رجلا جاثيا على ركبتيه أمامك يقبل يديك... كان واضحا جدا أنكما تهيمان شوقا ببعضكما لدرجة أنكما لم تسمعا صوت جرس الباب الذي ضغطت عليه مرات عديدة قبل أن أستعمل المفتاح الذي أعطيتني إياه. كيف يمكنك أن تفعلي معه هذا الفعل وأنت تخصينني؟

-أه لا. إنني لا أخصك. إنني لست كتابا، إنني لست قطعة أثاث، إنني لست شيئا يمكنك أن تمتلكه. إني أحبك. "چاك" لكني لا أخصك ولست ملكاً لك.

باحت بسرها الدفين على الرغم منها. كانت لا تريد إخباره بذلك. أغمضت عينيها وهمست في ذهول:

-إني آسفة لقولي هذا.

سألها بصوت لا يكاد يسمع:

-أتفكرين في ذلك حقا؟

ابتسمت ابتسامة هادئة وهي تفتح عينيها. قالت:

-نعم إني أفكر في ذلك، لكني آسفة أن قلت لك ذلك.

جلس "چاك" على الأريكة، نظر إليها ثم قال:

-تعالي بجانبي يا عزيزتي. إننا يجب أن نتحدث سويا.

-ليس هذا المساء: إنني أشعر بآلام حادة في رأسي.

من فضلك اتركني. لا تسمح حالتي بالخروج هذه الليلة. ذهبت "نيلا" نحو البهو، كانت خطواتها بطيئة وكانت رجلاها لا تقويان على حملها. كان واضحا أن الموقف السابق ومواجهة "چاك" لـ"لفرانك" وبوحها بحبها لـ"چاك" قد أرهق أعصابها. كانت "نيلا" من النوع

الرقيق الذي لم يتعود على هذه المواقف في الحياة.

كانت تسمع أصوات قدمي "چاك" تتبعها في طريقها للبهو. بدون أن تتوقف قالت له:

-ماذا هناك أيضا؟

كان صوت "چاك" وديعا حينما اقترب منها طالبا:

- قوليه لي مرة أخرى. أتعرفين ما يمثله ذلك بالنسبة لي؟

اندهشت "نيلا لطلب "چاك" وكررت على مسامعه ما أراد أن يسمع:

-إني أحبك. منذ أول لحظة تقابلنا سويا، شعرت أننا خلقنا لبعضنا البعض.

أغلقت "نيلا" عينيها وقالت له:

-اتركني من فضلك.

-ليلة سعيدة يا عزيزتي.

قالها "چاك" بانفعال ومضى في طريقه نحو منزله الصغير القابع في آخر الحديقة.

www.alkottob.com

الفصل العاشر

استيقظت "نيلا" من نومها مذعورة. كانت أحلامها مزعجة بعد أن اعترفت لـ"چاك" بحبها له، تحول "چاك" إلى رماد ثم جاءت ريح عاصفة وذهبت به بعيداً.

ارتدت روب حجرة النوم وهي غير مركزة، كانت تشعر بالخطر.

كانت السماء تمطر بغزارة، وكان صوت تساقط حبات المطر على سقف المنزل مخيفاً، مرعبا، لكن كان الصوت الذي ينبعث من ارتطام باب المطبخ أكثر إزعاجاً مما أشعرها بالخوف ارتدت الروب سريعا، لاحظت أن الساعة تشير إلى الثانية صباحا.

نزلت السلالم، كانت ترتجف من القلق، سمعت صوتا ينادي عليها:

-"نيلا".

كان صوت "چاك"، راته مبللا كمن خرج من البحر لتوه كان يرتدي - فقط - شورتا بدون قميص أو بلوفر.

- ادخل سريعا.

احتضنته بذراعها، أحست "نيلا" بالخوف من نظراته الزائغة وشحوب وجهه، أدخلته وأغلقت الباب وراءه. ثم قالت

-هل أنت مريض؟

لامست جبهته ثم خده لتشعر بحرارة جسده.

همس إليها قائلا:

-لم أستطع أن أنام.

-انتظر هنا، سابحث لك عن منشفة وبعض الأغطية.

جذبها من ذراعها وهي تهم بتركه قائلا:

-إنني في احتياج لك. همس لها بصوت غلب عليه الشعور بالقهر والعذاب:

أرجوك، إنني لا أستطيع النوم بدونك.

قلبت هذه العبارة الرقيقة "نيلا" فردت عليه بهدوء:

-تعال يجب أن تنشف نفسك جيداً.

ذهبت به إلى حمام الطابق الأسفل وساعدته على أخذ حمام ساخن ثم أعدت له المناشف وغطاء ثقيلا، تركته ثم ذهبت إلى المطبخ لإعداد الشاي. ذهب ورائها إلى المطبخ، كان وجهه شديد الاحمرار وكانت وجنتاه دافئتين بينما ظلت عيناه زائغتين مدت يدها إليه بكوب من الماء وأقراص دوائية ثم قالت له:

-تناول هذا، ستشعر بتحسن بعدها.

-ما هذا؟ إنني لست في احتياج له.

-إنه قرص أسبرين وقرص فيتامين "C". ثق بي. لا أريدك أن وتقع مريضا. لماذا لم تستخدم مفتاحك بدلا من وقوفك ساكنا هكذا تحت هذه الأمطار الثلجية؟

أخذ "چاك" منها كوب الماء وقرصي الدواء ثم قال لها وهو يضع الكوب الخالي على المنضدة.

www.alkottob.com

-لم أرد أن أخون العهد الذي التزمت به أمامك.

كان واقفا، قال جملته وجلس.

ردت "نيلا" قائلة: إنك تخاطر بنفسك حتى تصاب بالتهاب رئوي.

صبت "نيلا" الشاي في قدحين كبيرين ثم بادرته بالسؤال:

-مم تشكو يا "چاك"؟

-لقد كان كابوساً فظيعاً

تذكرت "نيلا" بعد جملة "چاك" كابوسها هي أيضا، وكيف رأته في منامها وقد تحول إلى رماد.

همست له بصوت حنون:

-احكلي

شعر "چاك" بالظلام يخيم على قلبه وعقله.. دق قلبه بقوة بين جانبيه... كان هذا الظلام ونفس هذا الشعور هو الذي دفعه للهروب من المنزل الصغير ليبحث عن "نيلا" الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يدفع عنه هذه الكوابيس المزعجة.

رفع "چاك" رأسه ودقق النظر في وجه "نيلا". كانت الصفاء بعينه، والطهارة والنقاء بذاته... كانت تبدو هادئة في ردائها الأبيض ذي الكمين الطويلين، كانت ترتدي أسفل الروب قميص نوم من اللون الأبيض كذلك به أزرار صغيرة من الصدف الأبيض كانت تبدو رقيقة كالطفل الوديع... إنه لايريد أن يجعل الظلام يلمسها، لكن الظلام كان هو نفسه... أغمض وقال:

-أعتقد أنه كابوس.. لكن لا إنه أكبر من ذلك. كنت خائفا.

-أنت تخاف من شيء؟ بالتأكيد لا.

كان صوتها هادئا.

فتح عينيه وابتسم ابتسامة هادئة قائلا:

-عندما نتكلم عن مخاوفنا نصبح صيداً سهلاً. إنني تعلمت أن

أتخطى ذلك، عندما تعرفين قصة خوفي فإن صورة "السوبرمان" ستطيرمن ذهنك في لمح البصر.

وضعت يدها على يده.، كانت تريد أن تشعره بالثقة، كانت تريد أن تطمئنه إلى أنه لا يوجد أي شيء يجعلها تغير رأيها فيه وفي قوته، وفي شجاعته.

أمسك بيدها بعدما أدار يديه، تشابكت أصابعهما. قال:

-إن كل شيء بدأ مع "ڤيك" أبي بالتبني.

أخذ "چاك" نفسا عميقاً... كان نظره شارداً في اللانهائية.

كان يحاول استرجاع الذكريات المؤلمة من الماضي البعيد.

أضاف:

-لم يكن صغيراً عندما تبناني، كانت زوجته قد توفيت منذ زمن طويل ولم تترك له أطفالاً، كان "ڤيك" الشخص الوحيد الذي وثق في، في شخصي، وفي قدراتي.

-كنت ساكون في غاية السعادة حين أتعرف عليه.

ابتسم "چاك" ابتسامة باهتة، أغلق عينيه ثم قال:

-لقد اغتالوه.

سمع صوت "نيلا" وهي تستنكر ما حدث.

-أحد بائعي المخدرات الصغار قتله غدراً. اعتصرني الألم، بغضت بعد هذه الحادثة كل مروجي ومدمني المخدرات، كنت أتمنى منذ صباي أن أحترف المحاماة .

لم أشعر بنفسي إلا وأنا أندفع بقوة للالتحاق بالعمل في وحدة مكافحة المخدرات حتى يمكنني أن أحارب بهمة ونشاط - ما وسعتني طاقاتي - هذا الخطر الداهم.

فتح عينيه، نظر في عيني "نيلا" أضاف:

-تخصصت في المهام التي لم يرد أحد الالتحاق بها.

www.alkottob.com

علت وجهه ابتسامة باهتة بدون فرحة قبل أن يضيف:

-على الفور أطلقوا علي في وحدة مكافحة المخدرات "المجنون الكبير"

ترك يد "نيلا" ليستطيع أن يرتشف رشفة من كوب الشاي ثم أكمل حكايته:

-كان الخطر يعيش معي وأعيش معه بصفة مستمرة، رضيت بذلك وأصبحنا صديقين.. عشقت عملي وحياتي وكان كل نجاح لي أعتبره مواساة لي في مقتل "ڤيك"، كان كل مجرم أقبض عليه أريد أن أخنقه بيدي انتقاماً لـ"ڤيك".

ألمت بعينيه نظرة حزن قبل أن يضيف بصوت تغلب عليه المرارة:

-للأسف كلما كنت أقبض على مجرم، كان يحل محله عشرة آخرون.

تصببت على جبينه حبيبات العرق ثم قال:

-شيئا فشيئا مات بداخلي شيء ما، حل الظلام بداخلي واستقر، كنت أشعر به دائما، لكن كنت لا أعرف ماذا أفعل.: قررت أن أتجاهله، كنت أكرس كل وقتي للعمل لم أترك لنفسي أي وقت للفراغ، كل ما استطعت أن أفعله هو ذلك.

شعرت "نيلا" بإرهاق "چاك". كانت تريد أن توقفه عن استدعاء هذه الذكريات المؤلمة، لكنها كانت تفهم أنه قد فتح صدره لها ولن يغلقه حتى ينتهي من اعترافاته هذه. كانت تشعر أن ذلك ربما يريحه بعض الشيء ويزيح عن كاهله حملا لا يستطيع أن يحمله بمفرده. كان واضحا أنه حمل ثقيل تنوء بحمله الجبال. وضح في عيني "چاك" لمعان مضطرب وارتجفت يداه وهي ممسكة بفنجان الشاي.، قال:

قبل أن أقابلك بثلاثة أسابيع أخبرني أحد المرشدين الذين يعملون معي أن هناك صفقة ستتم مع أحد المهربين ويدعى "الشاكوش".

شعرت "نيلا" ببرودة تسري في جسدها أمام ابتسامته المرسومة

على شفتيه.

-كان اسمه الحقيقي "دون شيا" كان أحد المهربين الصغار من الطبقة السفلى، ولكنه كان على معرفة بمن هم أعلى منه في "المافيا". كانت نيتي أن أديره؟

-تديره؟

نعم. أن أجعله مرشداً، كنت سأجبره أن يمدنا بالمعلومات وأن يتيح لنا فرصة للتعرف على الشخصيات القيادية في العصابة، بمعنى أدق كنت أخطط لأن أقتحم التنظيم الهرمي للعصابة وأتعرف عليه عن طريقه. تقابلنا سويا في مؤخر أحد المشارب المشبوهة التي كان يتردد عليها، كانت "راي" وشرطي آخر بانتظارنا خارج المشرب.، كان يجب أن يقبضا علينا بمجرد خروجنا من المشرب على أننا مهربان وشحنة المخدر التي كان سيسلمها لي في المشرب معنا كان ذلك يجب أن يتم بطريقة منتظمة ودقيقة بحيث لا تنكشف شخصيتي أمامه.

تنهد بعمق قبل أن يضيف:

-كنت لعبت هذا الدور مئات المرات من قبل. في بداية اللقاء كان كل شيء على ما يرام ويسير وفقا للخطة الموضوعة بعد ذلك تصرف "دون شيا" كالأبله، فهمت من تصرفاته أنه غير عاقل.، كانت شخصيته تبدو مضطربة، كان يبدو أنه "سيكوباتي"، أردت أن أرحل لكن الوقت كان متأخراً.

انحنى إلى الأمام. كان يسند مرفقه على المنضدة ويخفي وجهه في كلتا يديه.

بعد وقت ليس بالقصير سحب "دون شيا" مسدسه وصوبه نحوي.

كان صوت "چاك" مملوءاً بالرعب الممزوج بالخوف، أضاف:

-إنها لحظة لن أنساها، رأيت الموت بعيني، كنت مشلولا ضغط

www.alkottob.com

"شيا" على الزناد.. سمعت طقطقة، لم يحدث أي شيء؛ كان المسدس فارغاً.

هز "چاك" رأسه كما لو كان لا يصدق ما حدث... إنه يبدو شيئا لا يصدقه عقل.

كانت نظرته الخائفة تتركز على "نيلا" لكنها كانت تعرف أنه لا يراها... كان المشهد يتكرر أمامه، الهلع الذي لا يمكن وصفه الناتج عن التفكير في أنه سيفقد حياته والمعجزة التي لا تصدق أنه مازال على قيد الحياة.

امتزج الهلع والغضب بداخل "نيلا" عندما فكرت فيما حدث وفي فكرة أن "چاك" كان يمكن أن يفقد حياته، يموت. هذا مستحيل؛ كانا لن يلتقيا أبدا. لقد أصبح "چاك" غالياً جدا عندها. سواء إذا كان يحبها أم لا، كان سيان عندها، كانت تحبه بدرجة تفوق الوصف.

كان "چاك" يتحدث بسرعة ويمثل المشهد بيديه.

أكمل روايته قائلا:

- ظللنا نحن الاثنان صامتين، ساكنين. في هذه اللحظة أمسكته بكلتا يدي من ياقة قميصه، هززته بعنف، كان يصرخ بصوت عال وأنا أيضا، أخرجت مسدسي، دفعته نحو الحائط، كان ينظر إلي مذعورا وكانت فوهة مسدسي مصوبة نحوه.

أمسكت "نيلا" بيد "چاك"، ضغطت عليها، كانت تريد أن تمنحه القوة والشجاعة ليكمل. أمسك "چاك" بيدها بقوة كما لو كانت قارب النجاة الذي سينجده من الغرق، أضاف:

-شممت رائحة خوفه ورأيت الكراهية المشتعلة في نظرة عينيه. شعر "شيا" بما أشعرني به ورأى الموت أمامه كما رأيته أمام عيني، فهمت أنني أيضا مثله مجنون، كان الموقف قاسيا حتى بدأت أعضاء

جسدي ترتجف.

طأطأ "چاك" رأسه في حركة لا شعورية يائسة. همس بصوت منخفض:

-لم أقتله، لكن الرغبة كانت تسيطر عليّ. كانت هذه اللحظات العصيبة هي التي جعلتني أقرر ترك هذه المهنة؛ كنت قد وصلت إلى نقطة النهاية، نقطة لا رجعة بعدها. هذا هو الكابوس الذي يؤرقني في كل ليلة، أرى نفسي ممسكاً بالمسدس في يدي، أضغط على الزناد وأشعر بأنني انزلقت إلى الخطر. ذلك يشبه الظلام. كان الظلام يكسب كل يوم أرضا جديدة، كل يوم يتقدم الظلام خطوات بداخلي وهكذا لم تعد جفوني ترى النوم. هذه المرة كان "چاك" ينظر جيدا إلى "نيلا" عندما قال لها:

- اليوم الوحيد الذي لم أر فيه هذا الكابوس هو اليوم الذي التقيت بك في فندق "ملكة البهاما". عرفت بعد ذلك أنني لن أستطيع أن أرى النوم إلا وأنا بجانبك.

شعرت "نيلا" بصدق آلامه. كانت أحاسيسه، ومشاعره صادقة. شعر ببعض المواساة من عبارات التعزية والتسلية، لكنها كانت غير كافية، كانت هذه العبارات لا تستطيع أن تمحو شعور الظلمة بداخله. كان الشعور بالظلام مسيطراً عليه، مستولياً على ذاته. وإذا كان يعرف أنه باستطاعته أن يزيل هذه المخاوف والهواجس الكئيبة من داخله؛ لاعتقدت هي بذلك وفعلت.

-إنني أحبك يا "چاك"

شعر "چاك" بأنه يريد البكاء. كان هذا الحب بمثابة شعاع الأمل في صباح نفسه. كان يتمنى أن يقول لها نفس العبارة، لكنه كان غير قادر على ذلك.

www.alkottob.com

شيء ما كان يمنعه، كان على الرغم من ذلك يعرف جيدا أنه منذ لقائهما الأول في الكازينو وتبادلهما للنظرات - أنهما يمثلان، كل منهما، نصف الآخر، كانت لديه قناعة بانه منساق نحو شيء، نحو هدف، وكان هذا الهدف، هو "نيلا".

كانا في احتياج لبعضهما البعض.

تشابكت أيديهما، أرهفا السمع لصوت الريح، الأمطار ودقات قلبيهما.

نظر إليها قائلا:

-إنني في احتياج شديد إليك.

-أعرف ذلك وأقدره.

نظر إلى وجهها الطفولي البريء ثم أضاف:

-أكثر مما تتخيلين.

-هذا حسن يا "چاك" لا تشعر بالقلق.

ضغطت بيدها على يديه وقالت:

-حبي لك بدون شرط ولا نهاية.

ارتجف "چاك"؛ إنه لم يصادف في حياته أحداً آخر غير "فيك" منحه هذا الشعور، أشعره بهذا النوع من الحب، غير أن شعور الخوف امتلكه، تراءى على فكره مشهد عنيف جعله يشعر كأنه رجل ضرير في حجرة مظلمة لا أمل للخروج منها: ماذا لو حدث مكروه لـ"نيلا"؟

طرد هذه الهواجس المخيفة من رأسه، وأخذ على نفسه عهدا بأن يكون دائما بجانبها لحمايتها حتى آخر رمق في حياته.

نظرت إليه "نيلا" مندهشة وقالت باستنكار:

-"چاك" إنك تضغط على يدي بقوة.. هل كل شيء على ما يرام؟

-آسف يا عزيزتي.

مر بأصابعه الرفيعة على وجهها وقبلها قبلة خفيفة للاعتذار عما سببه لها من ألم. كان يريد أن يشرح لها لماذا لا يستطيع أن يقول لها إنه يحبها. تنهدت بعمق وبدأ يشرح شيئا شعر معه أنه ربما لن يجيد التعبير عما بداخله:

-"نيلا". إنني لا أعرف ماذا يعني الحب، لكن يبدو لي أنني يجب أن أحبك.

رن صدى صوته في أذني "نيلا". كانت محملة بأحاسيس وعواطف لم يكن يستطيع أحد أن يفهمها. أضاف:

-ربما يكون ذلك لأنني لم أحب أحداً منذ موت "فيك"، أو ربما لأنني كنت خائفا من الحب لأن...

لم يكمل جملته وبدت له فكرة جنونية لا عقل فيها.

-إذا كنت أجهل الحب نفسه، وإذا كانت نفسي لم تعرف الحب من قبل.. فكيف كان باستطاعتي أن أقول لك: إنني أحبك هكذا كان الأمر لن يتعدى سوى كلمات.

قالت له:

-إننا لدينا كل الوقت، ربما تعرفه يوما ما

أدهشه هذا الرد، كان لا يتوقع أن "نيلا" قد تخلت عن فكرة خوفها من أن تحب دون أن تكون متأكدة.

رد عليها بنبرة سعادة:

-نعم لدينا كل الوقت.

www.alkottob.com

تفحص وجهها طويلا قبل أن يضيف:

-حتى يمكنني أن أقول لك هذه الكلمات من أعماق قلبي، سأعطيك كل احترامي وولائي، ستكونين مركز اهتمامي.

لم أكن أبدأ مركز اهتمام أي شخص.

ابتسمت ابتسامة هادئة شعر معها بالغبطة تملأ فؤاده.

نهضت قائلة بصوت هادئ لكنه حازم:

- تعال لتنام.

مدت يدها إليه وصعدا السلالم سويا.

شعر "چاك" بأن حلمه منذ قدومه لـ"دان فيل" قد تحقق. كان يحلم بحجرة "نيلا" وسريرها، يحلم بأن يتقاسم معها ذلك في يوم ما، كان يشعر أن له حقا في ذلك.

رقد "چاك" على طرف السرير كالطفل الوديع بين يدي أمه، شعر أن المرأة قد أولته ثقتها، نظر إلى "نيلا" وقال لها:

-عندما دخلت الكازينو، سقطت في غرامك، وأصبحت أسير سحرك وقررت أن أتبعك أينما ذهبت. وكنت أراقبك من بعيد وكنت أتساءل: ما الذي يدفعني إليك؟ عذوبتك المتناهية ولطفك الرائع جعلاني متعطشا لحنانك. كنت أفتقد الحنان والعطف طيلة حياتي إنك رائعة الجمال يا "نيلا".

كانت "نيلا" تسند رأسها على صدره، كانت تسمع دقات قلبه بينما كانت يداه الحانيتان تمسحان ظهرها برفق.

قالت له بصوت هادئ:

-نم يا صغيري، كن هادئا، لن يزعجك شيء بعد ذلك.

نهض "چاك" قائلا لها:

-لا ترحلي، لا تتركيني لكوابيسي.

قالها وأغمض عينيه وذهب في سبات عميق. كانت السماء بالخارج ملبدة بالغيوم وتمطر بغزارة.

ظلت "نيلا" مستيقظة تفكر في التحول الذي طرأ على حياة "چاك ماديسون" واثقة في أنها تستطيع أن تحدث نفس المعجزة في حياتها هي أيضا.

www.alkottob.com

الفصل الحادي عشر

في الصباح.. كانت أشعة الشمس تتسلل إلى حجرة نوم "نيلا" من خلال الستائر. نهض "چاك" بعد نوم عميق، تحركت "نيلا" بجانبه. لاحظها كانت كمن يبحث عن حرارة جسده التي تبعث فيها الشعور بالأمان. استيقظت بعده بقليل. كانت تحبه، كان ذلك مفروغا منه. لكن هو ماذا كان يريد منها حقاً؟ هل كان ذلك هو الحب الذي بدأ يعرفه؟

نظرت إليه بخجل وهمست قائلة:

-صباح الخير.

كانت وجنتاها ورديتي اللون.

-صباح الخير يا عزيزتي.

عانقها طابعاً قبلة على شفتيها.

-يبدو عليك أنك نمت جيداً.

ابتسم لها "چاك" دون أن يعلق. كانت نظرات حنانه وعطفه تحيطها.

توالت الأيام بعد ذلك، وازداد "چاك" معها ثقة في العملية التي حدثت بداخله وأجرتها المرأة بنجاح. كانت اهتمامات المرأة وعنايتها به تحيطه من كل جانب. شعر مع هذه العواطف الدافئة كأنه نزع من ماضيه الذي يؤرقه دائما وساعده ذلك على التصالح على نفسه، لابد أن "ڤيك" كان سيسعد لهذا التحول الجذري في حياته. كانت كوابيسه المزعجة قد اختفت، كان يستيقظ كل صباح بجانب "نيلا" وقلبه متفتح للحب والحياة عن ذي قبل.

قبل الاحتفال بـ"عيد الشكر" كان "چاك" قد بدأ إعداد تجهيزات بداخل البيت ليتمكن من إعطاء دروس "الأكيدو" عليها بداخل المنزل، كان قد قرر ترك الحديقة بعدما أصبح الجو ممطراً بصفة مستمرة واشتدت الرياح.

كان "ميلز" دائما ياتي في موعده، لكنه في هذا اليوم تاخر عن الموعد المحدد فيه لقاؤهما.

خرج "چاك" ليبحث عنه، بعد عدة دقائق دخل إلى متجر "نيلا"، والتي كانت بمفردها، كانت مشغولة في الحديث في الهاتف، رفعت عينيها بصعوبة لترى القادم.

بعدما أنهت المكالمة قالت له وهي تضع السماعة:

-إنها والدتي، سوف تاتي هنا لقضاء "عيد الشكر". إنها مشتاقة جداً لرؤيتك.

-هل حدثتهـا عنا؟

هزت "نيلا" رأسها بشرود. كان يبدو عليها عدم الاهتمام. نظر إليها "چاك" مستفسراً:

-هل صدمت عندما عرفت أننا نعيش سوياً؟

-ليس كلياً. إنها سعدت لاكتشافها أنني أشبهها إلى حد ما.

www.alkottob.com

أمام ضحكته الساخرة التي أبداها من رد "نيلا" أضافت:

-لن تشعر بأي غرابة معها.

سألها "چاك":

- هل تعرفين أين "انچي"؟

كان يريد تغيير مجرى الحديث.

-إنها على موعد مع مدرس "ميلز" ومشرف التربية بمدرسته.

-وهل "ميلز" معها؟

-لا، أعتقد أنه يلعب في الحديقة.

ولف "چاك" خلف الكونتر ليجذبها إليه قائلا:

-لا تنزعجي، بالنسبة للأمر بيني وبين والدتك، سيكون كل شيء على ما يرام.

ردت عليه وهي تبادله عناقه:

-أتمنى ذلك من أعماق قلبي.

قال لها مقبلا أنفها:

-سأذهب لأبحث عن "ميلز"، وإلى اللقاء.

رأى الطفل الصغير مستندا على "درابزين" الكشك الصغير الموجود بالحديقة. كان قطه "سوجر" نائما أمامه.

كان نظر "ميلز" معلقا بعنكبوت ينسج خيوطه. رأى "چاك"، قال له بدون أن يحول نظره عن العنكبوت:

-تحية يا "چاك".

-إنني آسف لأنك لم تأت لدرس اليوم. يبدو عليك الحزن.

-مشرف التربية بمدرستي يقول: إنني يجب أن أنتقل لصف أعلى، ولكن والدتي مترددة. إنها...

ظهر على وجهه الحزن والغم قبل أن يضيف:

-والدتي تقول إن الأهم بالنسبة لي هو أن أقيم علاقات قوية مع أطفال في مثل سني.

-وأنت فيم تفكر؟

-الأمر بالنسبة لي سيان. إن زملائي بالفصل لا يحبونني.

-وأنت هل تحبهم؟

-إنني أشعر أنهم معتوهون.

داعبه "چاك" في شعره قائلاً:

-دائما هناك طريقة ما يتقارب بها الناس مع بعضهم البعض.

فكر في شيء مشترك بينكم، الأنشطة المتنوعة التي تحبونها جميعا، كرة القدم، البيسبول، السينما.

صاح الطفل في وجه "چاك"، كانت ابتسامته نادرة الظهور تعلو وجهه:

-"الأكيدو" أيضا.

في الغد كان كل شيء جاهزا وأصبحت أمنية الطفل واقعا ملموسا. حصل "چاك" على تصريح ممارسة لعبة "الأكيدو" وتعليمها للصغار، كان نجاحه باهراً في تقديم أصول وقواعد لعبة "الأكيدو" بالاشتراك مع تلميذه "ميلز" أمام زملائه في الفصل. ترك "چاك" المدرسة وهو متأكد أن الصغير سيحصل على صداقات عديدة في القريب العاجل بصورة لم يحلم بها من قبل.

وفي مساء نفس اليوم فهم "چاك" أن مهنته القادمة ستكون تعليم قواعد وأصول ألعاب الدفاع عن النفس للشباب إن استقر مشروعه الأساسي: فإنه سيقدم للجيل الصاعد كل الفنون التي تعلمها من أبيه ومدربه "ڤيك ماديسون".

كانت "نيلا" ترتدي فستانها المخملي ذا الرقبة المطرزة بالدانتيلا

www.alkottob.com

وكان "چاك" يراقبها بعينين ثاقبتين همس:

-أعتقد أنني يجب أن أرتدي زيا أو بذلة كاملة.

-لماذا؟إنك حسن هكذا.

"وكذلك جميل". هكذا فكرت بدون أن تخبره. كان يرتدي بنطلونا كلاسيكيا أسود اللون وقميصا أبيض. مر بيده على شعره وقال:

-ربما يجب عليّ أن أذهب إلى مصفف الشعر. وقرط أذني هل أحتفظ به أم أخلعه؟

-إنني لم أرك أبدا عصبيا، حاد المزاج مثلما أنت اليوم.

تعال لتساعدني على غلق الفستان.

-إن هذا الخميس يوم مهم، لابد من الاستعداد له.

أغلق "چاك" الفستان الذي يلف جسد "نيلا" ثم طبع قبلة رقيقة على عنقها قبل أن يضيف:

-وكيف يكون الحال إذا لم أكن في المستوى اللائق بتلك الحفلة؟

نظرت إليه نظرة مازحة وقالت:

-ألست أنت الذي نصحتني من قبل بألا أهتم بآراء الآخرين؟

-لماذا تتذكر النساء دائما أقل عبارة للرجل؟ إنهن مستعدات دائما لتسميع المئات من تلك العبارات حتى يستطعن لوم الرجل.

-هذا لأننا نحبكن، ويا لكن من مخلوقات غريبة الأطوار.

وقفت في مواجهته وتعلقت بعنقه بعطف وحنان قائلة:

-إننا ذاهبان ببساطة عند "كلوڤر"، سيكون هناك "انچي" و"ميلز" مع بعض أفراد أسرتهم وبعض الجيران من الحي.

-إن والدتك سوف تأتي أيضا، والانطباعات الأولى تدوم كثيراً.

تفحصته "نيلا" ضاحكة ثم قالت:

-إنك لست في احتياج إلى بذلة كاملة، والدتي ستعشق قرط أذنك

وأنت تروق لي كما أنت.

-لماذا لا نظل سويا هنا نستمتع بحبنا؟

أوشكت "نيلا" أن تستجيب لدعوته من بريق عينيه.

- لا مجال للمناقشة. إن أمي إذا لم تجدني عند "كلوڤر" فستأتي مباشرة إلى هنا. إنها تملك مفتاحاً للمنزل، هل تريد أن تجدنا بمفردنا في حجرة النوم؟

رد عليها "چاك" بنبرة يغلب عليها اشتهاء ما قالته:

-إن ذلك سيكون رائعا وربما سيجعلها تسمح لنا بالزواج في الحال.

تنهدت "نيلا"، وتساءلت "هل يتمنى دائما أن يتزوجها؟ إنه لم يذكر الزواج مرة قبل ذلك ولم يكلمها فيه منذ ليلة اعترافاته".

ردت عليه بحزن قائلة:

-لا، إن هذا ليس من أسلوب والدتي، ستخلع حذاءها سريعا حتى تشاركنا السرير لتحكي لنا عن مغامراتها.

علق "چاك" بسعادة:

-إنني أحترق شوقاً لمقابلتها.

ساعتان فيما بعد هذا الحوار كانت "نيلا" تستمع بشرود لحديث ابن أخي "كلوڤر". كان حديثه مملا حول لقائه الشهير والعاصف مع "روبرت ردفورد" والذي أذاعته محطة التليفزيون المحلية. كانت تبحث عن "چاك" بنظرها بين المدعوين، عندما وجدته كان واقفا مع "انچي" المتألقة وكان ابنها "ميلز" على غير عادته في مثل هذه الاحتفالات، كان دائما ما يختلي بنفسه في ركن صغير بالمنزل يقرأ أحد كتبه، هذه المرة لم يكن يطالع كتابا وإنما يلعب مع أطفال آخرين وكان يعلمهم كيف يلعبون "الأكيدو".

www.alkottob.com

نظر إليها "چاك" من بعيد نظرة الهبت مشاعرها حتى تمنت لو كانت سمعت نصيحته وظلا سويا في منزلها يستمتعان بالحب، شعرت أكثر من أي وقت آخر أنه إجابة كل أمانيها.

في الجانب الآخر من الحجرة كانت فكرة خطف "نيلا" من وسط الحفلة والذهاب معها إلى منزلها تسيطر على عقل "چاك".

كانت الفكرة تراوده من وقت لآخر بالرغم من جموع أصدقائه القدامى بوحدة مكافحة المخدرات في "دان فيل" والذين كانوا مدعوين في الحفل كأصدقاء وجيرا " العمة "كلوفر".

-عزيزتي "كلوفر".

كان الصوت هادئا، أنثويا يأتي من عتبة باب المنزل.

رأى "چاك" امرأه جميلة ترتدي ملابس متكلفة وعرف أنها والدة "نيلا". كانت الصور لا توافيها حقها، جذبت إليها الأنظار وبدا عليها الشباب والحيوية أكثر مما كان متوقعا.

صاحت المرأة.

-"نيلا" جميلتي.

كانت يد المرأه شبه مغطاة بنصف دستة من الأساور، ظهر ذلك جليا وهي تحتضن ابنتها التي غطى ريش ثوب أمها وجهها الرقيق، كانت "إيمي" ترتدي فستانا أبيض ميني يكشف عن ساقين رائعتي الجمال. تأكد "چاك" عندما رأى والدة "نيلا" أنها تتردد على نفس البوتيك الذي تتردد عليه "انچي" لشراء ملابسها.

كما شاهد رجلا، يفترض أنه "تولي" يمشي في أثر المرأة، كان تماما مثلما وصفته "نيلا"، كان يبدو كدب الأطفال الدمية.

كانت ابتسامته تكاد تصل إلى أذنيه، وكانت عيناه الزرقاوان الحالمتان تدلان على شخصية لينة العريكة، كان يمسك بيده عصا

كالتي يتأبطها مارشلات الحروب، لفت أنظار الحاضرين برشاقة رائعة.

عطست "نيلا" لاقتراب "چاك" وقالت لأمها:

-أمي لم أعد أستطيع التنفس.

-لا تقطبي حواجبك هكذا يا صغيرتي. إن ذلك يصيبك بالتجاعيد مبكراً، ابتسمي للحياة.

فكر "چاك" في جملة "إيمي" لـ"نيلا". إ[illegible]ت استمعت لنصيحتها طوال حياتها، لكان الوضع تغير كثيراً. لم يكن الأمر من الصعوبة حتى يفهم لماذا هي اليوم لا تشعر بالثقة في نفسها وحيويتها وجمالها.

نظرت "إيمي" إلى رداء ابنتها وقالت لها:

-من أين أتيت بهذا الفستان؟ إنه ليس رديئاً لكنه ليس أنيقاً!

أطلقت "نيلا" ضحكة مرحة ثم أمسكت وسط أمها قائلة:

-لقد علمتني منذ نعومة أظافري أروع طريقة للملبس، تعلمت جيدا منك الأناقة على أصولها. أمي إنني سعيدة أن أراك، احكي لي عن رحلتك.

كانت محاولة "نيلا" لتغير موضوع الحديث مع أمها قد باءت بالفشل.

نظرت "إيمي" إلى ابنتها وهيئتها قائلة:

-عزيزتي بهيئتك الرشيقة، الجميلة هذه تستطعين أن تفعلي كل ما تريدين.

تدخل "چاك" في الحديث قائلا:

-إن لها أسلوباً خاصاً بها.

أحاط "چاك" بذراعه القوية كتف رفيقته وشعر بزوجين من العيون تحملقان فيه أحدهما بفضول والآخر بعرفان. تابع "چاك" حديثه

www.alkottob.com

قائلا:

-إن ذلك الرداء يبدو رائعا، لا مثيل له وإذا تعمقنا أكثر فسنجد "نيلا" الجميلة برقتها المتناهية وبراءتها الفطرية، ذلك ما يضفي على الفستان رونقا وجمالا.

كذلك فإن زينة "نيلا" تبدو هي الأخرى سعيدة الحظ بانتسابها إليها، وجه "نيلا" الجميل يزيدها بريقا ولمعانا.

- هذا الرجل على حق ياصغيرتي لابد أنك "چاك ماديسون". إن ابنتي قالت لي الكثير عنك، عن رجولتك. جمالك. إنني مغرمة بهذا القرط الذي في أذنك. "تولي"! تعال مسرعا لأقدم لك الرائع "چاك ماديسون" الضابط بوحدة مكافحة المخدرات.

كان وجود "إيمي" في الحفلة قد زادها رونقا وبهجة، كانت تنتقل من مجموعة إلى أخرى وكلما التحقت بمجموعة شعرت بالحياة تدب في أوصال المجموعة مثل النبات الجاف الذي ينتظر المطر، كانت خفيفة الظل، ضاحكة مسلية تعشق الحياة. فهم "چاك" الأسباب التي تكمن وراء عدم اهتمام المرأة بابنتها: كانت حيوية تشعر بالغبطة والسعادة في التعرف والاتصال بالآخرين. كانت وجبة "عيد الشكر" رائعة المذاق. أكل الجميع بشهية، بينما كان "چاك" يفكر أنه ربما لم يشارك في مثل هذه الاحتفالات من قبل. كانت المشاعر حوله صادقة، لاغش فيها ولا تدليس، كان كل فرد من الحاضرين يشعر بالسعادة ويعيشها، "چاك" كذلك أكل كثيرا، ربما لم يأكل بمثل هذه الشهية من قبل كذلك وهو الأهم أنه كان يشعر بأنه محاط بحب وصداقة حقيقية كان متأكداً أنه هو "چاك ماديسون" وليس شخصا آخر. كان لا يمثل على أحد وإنما كان يسلك بطريقة طبيعية.

عندما انتهت وجبة "عيد الشكر" أعلنت "إيمي" أنه حان الوقت

للغناء، كانت وحدها بخفتها ورقتها تزيد جو الحفلة بهجة وسعادة... جلست "نيلا" إلى البيانو وبدأت العزف، تسللت أنغام "البيانو" إلى قلب "چاك" وتساءل بداخله "من أين أتت فكرة أن سكان الريف لا يعرفون السعادة أو قضاء أوقاتهم بسرور"؟

كان الجميع يغني ويرقص من أعماق قلبه.. في هذه الأثناء اتجهت "إيمي" إليه وقالت:

- تعال يا عزيزي، لم تسنح لنا الفرصة بعد للتحدث سويا.

تبعها "چاك" إلى البهو وتفكيره منشغل بما يدور في رأسها.

جلست "إيمي" على السلالم، شبكت رجليها الرشيقتين وأحاطتها بذراعيها الجميلتين.

نظرت إلى "چاك" وقالت مبتسمة:

-اجلس بجانبي، إنني لن أؤذيك.

-إنني عادة لا أضع يدي في النار.

-آه، آه، آه! إنك تعجبني كثيراً، اجلس سريعاً، لدي أشياء كثيرة أريد أن أخبرك بها

جلس الاثنان متقاربين الكتف في الكتف، نظرا لحظات إلى جموع الحاضرين، كانت الأناشيد والألحان المختلطة بأصوات المدعوين تصل إلى مسامعهما.

التفتت "إيمي" إلى "چاك" وسألته:

-إنني لم أر ابنتي سعيدة من قبل مثلما هي عليه الآن: هل تفهمها؟

-نعم إنها تبدو لي رائعة.

-هذا حسن.

علقت "إيمي" على جملته بدون أن تبتعد بعينيها عنه، ثم أضافت:

-بالنسبة لي، فإنني دائما أشعر بصعوبة في التصرف معها، لم

www.alkottob.com

يكن الأمر معها مثلما كان مع أختها "ماري" التي تشبهني إلى أقصى حد. كانت "نيلا" دائما يقظة الضمير، كانت كثيراً ما تفقد الثقة بنفسها وبالآخرين، لكنها كانت ذات شخصية قوية أكثر مني ومن أختها "ماري".

ابتسمت المرأة ابتسامة حزينة. أضافت:

-إننا لا نتبادل أماكننا.. نحن الاثنان... كنت دائما أبحث عن السعادة في كل مكان يمكن أن تصل إليه قدماي، وكانت "نيلا" تفضل المكوث في ركنها الهادئ، كانت مقتنعة بانه يجب علينا البحث عن السعادة بداخلنا وليس في مكان آخر. أعرف انني أخطأت كثيراً، وكانت "نيلا" دائما المحطة التي أرسو عليها، وإذا كانت عانت من أخطائي المتكررة وأنا لا أشك في ذلك، فإنها لم تبارزني بها ولو مرة واحدة، كانت تستمر في حياتها الهادئة.

واليوم هي تحبك، إذا حاولت أن تؤذيها، فسيكون لك معي شان. هل تفهم ذلك جيداً يا "چاك"؟

-كلياً.

حسنا، قل لي إذن هل لديك النية أن تتزوج ابنتي؟

-إذا كانت ترغب هي في ذلك - وفي الحالة الأخرى. ابتسم "چاك" وقال:

-إنني لن أتنازل عنها أبداً، لقد وجدتها بعد عناء وسأحتفظ بها حتى آخر رمق في حياتي.

ابتسمت ابتسامة ظهر معها لمعان وجمال أسنانها البيضاء المتلألئة ثم قالت:

-إن هذا أجمل رد سمعته في حياتي.

نهضت قائلة:

تعال، هيا بنا نلحق بالآخرين.

الفصل الثاني عشر

كان الوقت متأخراً عندما خرج "چاك" و"نيلا" من عند "كلوفر". قال لها:

-إن والدتك أعجبتني كثيراً. إن لها شخصية جذابة، جميلة.

-إنني لم أصادف في حياتي شخصا لم ترق له أمي، دائما ما يكون الجميع على استعداد لغفران أي شيء لا يليق يصدر منها.

-وأنت كذلك؟

-لاسيما أنا.

-قولي لي إذن، أتسمحين لي بتأجير المنزل الصغير؟

ارتجفت "نيلا" وقالت:

-لكني أعتقد أنك سعيد بالعيش معي.

-أنا كذلك.

ضغط برفق على يديها قبل أن يضيف:

www.alkottob.com

-إن ذلك ليس للعيش، ولكن لأفتتح فيه مشروعاً لتعليم فنون الألعاب القتالية، ينبغي أن أقوم ببعض الترتيبات.

يجب أن أقوم بهدم الحائط الداخلي للحجرة حتى أحصل على صالة فسيحة و...

صمت "چاك" بينما كانت "نيلا" تسند رأسها على كتفه قائلة:

-إنها فكرة رائعة! ستكون مدرسا جيداً. إن "ڤيك" كان لابد سيشعر بالغبطة والفخر، كما أشعر بهما الآن.

لم تضف أنها كانت تكاد تجن من السعادة؛ إن هذا المشروع كان دليلا على أنه قرر فعلا المكوث بجانبها في "دان ڤيل".

لم تمر خمس دقائق بعد دخولهما إلى المنزل إلا وتلقى "چاك" مكالمة من "راي جراسيا".

-عزيزي "چاك" كيف حالك؟

كان سلك الهاتف يمتد حتى المطبخ حيث وقف "چاك" مرتكزا على إحدى النوافذ وعيناه على الحديقة.

سمعته "نيلا" يقول:

- "ليس الوقت متاخراً لا.. فندقك قريب منا جداً، ستكونين هنا في أقل من عشر دقائق". ثم أعطاها بعد ذلك عنوان المنزل، ووضع سماعة الهاتف.

أخبر "نيلا" بعد عودته أنها "راي جراسيا" ثم قال:

-لقد وصلت اليوم إلى "دان ڤيل".. خسارة أننا لم نعرف هذه المعلومة قبل ذلك، كان يمكننا اصطحابها عند "كلوڤر"، كانت ستعجب كثيراً بالحفل الصغير.

اختفت ابتسامته أمام وجه "نيلا" المتغير.

-كنت سأطلب رأيك لمعرفة ما إذا كانت لديك الرغبة في استضافتها

في بيتك.

كانت نبرة "چاك" مضطربة، مترددة.

تنهدت "نيلا" بعمق ثم أجابته بقولها:

-إن هنا بيتك أيضا يا "چاك"، إنك لست في احتياج إلى إذن مني لتدعو من تريد دعوته.

اجتهدت "نيلا" وحاولت الابتسامة قدر استطاعتها، كانت تخشى من محاولة "راي" إرجاع "چاك" للعمل مرة أخرى في وحدة مكافحة المخدرات.

سألته:

-هل تريد أن أحضر القهوة؟ أم إن "راي" تفضل شيئا آخر؟

-إنها تدمن القهوة.

مرر "چاك" يده بين ثنايا شعره، بدا على جبهته الهم.

-"نيلا" إني أشعر أنك تشكين في هذه الزائرة، لماذا إذن ؟

-إنني قلقة بعض الشيء، ربما تحاول أن تعيدك إلى عملك؟

-تعالي هنا، قولي لي: إنك تحبينني.

جذبها "چاك" نحوه برفق.

أدهشها هذا الطلب.

-إنك تعرف ذلك جيداً.

-إذن قوليه لي.

ترددت وارتسمت على شفتيها ابتسامة.

-إن ذلك يدعو إلى السخرية. إن رجلا لا يعتقد في الحب ويجد سعادة في سماع هذه الكلمات الثلاث.

-أنت تعتقدين به، أنت...

احتضنها وقبلها طويلا ثم قال:

www.alkottob.com

-هذا حقيقي. إنني أشعر بسعادة لسماع هذه الكلمات منك أنت، من فمك. قوليه لي.

تنهدت طويلا:

-موافقة. إنني أحبك.

-إذا كنت تحبينني، لماذا لا تصدقين أنني تركت العمل بوحدة مكافحة المخدرات؟

منع رنين جرس الباب "نيلا" من أن ترد. ثم قالت:

-إنها "راي". اذهب لاستقبالها يا "چاك".

تابعته بنظرها وهي تتساءل في نفسها عما سيحدث في حياتهما عندما يفتح الباب.

جلس الجميع في حجرة الصالون "چاك" و"نيلا" بجانب بعضهما بعضا على الأريكة ذات القماش الأزرق. كانت "نيلا" تمسك بيدها فنجان القهوة، كانت متأثرة بـ"راي" في بادئ الأمر، كانت "نيلا" تجد صعوبة في تخيل هذه المرأة الساحرة، الرقيقة في دور ضابطة الشرطة السرية. بعد ذلك استطاعت "نيلا" أن تفهم أن هذه المرأة لا تختلف كثيراً عن "چاك"؛ كانت تمتلك نفس المواهب، نفس القدرات كانت لها نفس القدرة على الملاحظة وحيوية العقل تماما مثل "چاك"، على الرغم من ذلك شعرت "نيلا" إنها ستغبنها إذا لم تعترف بانها لطيفة وودود. كانت المرأة صريحة وتستطيع بشخصيتها الجذابة كسب صداقات الآخرين بسهولة وكانت زيارتها لـ"چاك" صادقة وغير مرتبة من قبل. وتحدثت المرأة عن مشاريع المستقبل بالقرب من "نيلا".

وضعت "راي" فنجان القهوة على المنضدة واعتدلت في هيئتها لتفصح أخيراً عن السبب الحقيقي لزيارتها المفاجئة:

-إنني في احتياجك يا "چاك" انا في حاجة إلى مساعدتك. أنت تعرف

أنني لم أكن لأتصل بك لو كان عندي حل آخر.

أوضحت الحقيقة بانه لكي تستطيع القبض على إحدى العصابات الشريرة بـ"ميامي"، فيلزمها تدخل "چاك" حتى يستطيع كسب ثقة أحد المرشدين الذي رفض التعامل مع ضابط آخر غير "المجنون الكبير"

"لا!"

كان ذلك رد "نيلا" بصرخة داخلية ظهر بها وجه "نيلا" كالمجانين، لم تستطع "نيلا" أن تحفظ لسانها طويلا حتى قالت:

- وإذا تطور الأمر إلى سوء يا "راي"؟

كانت نبرة صوت "نيلا" يبدو عليها الاستفسار، لكنها كانت مضطربة، مرتجفة، كان ذلك واضحا لمن يراها أو يسمع صوتها.

تراءت أمام عينيها المشاهد، أحد المدمنين المعقدين نفسيا يصوب فوهة مسدسه نحو "چاك" مرة أخرى، يهدده بفقد حياته ويهددها هي أيضا، هل ستكون هناك فرصة أخرى لينجو بحياته من أمام الموت؟

ابتسم "چاك" ابتسامة ثقة ثم قال موجهاً حديثه إلى "نيلا":

-كل شيء سيكون على ما يرام يا "نيلا". إن دوري ليس خطيراً إن كل ما ساقوم به هو التحدث مع مرشدنا.

أضافت "راي" معلقة على كلام "چاك":

-بالتاكيد لن يتعرض "چاك" لاي خطر.

كانت ابتسامة "راي" تعلو وجهها كان واضحا أنها تفهم الأمر جيداً وتقدر الظروف.

شعرت "نيلا" بالاضطراب والخوف، لقد كان مفهوم الخطر يختلف بالتاكيد لديهما عما تفهمه هي عن الخطر.

أثناء حديث "چاك" مع شريكته السابقة بوحدة مكافحة المخدرات عن الطريقة التي يمكن أن يتدخل بها في الموضوع وعن الاحتمالات الممكنة

www.alkottob.com

سيطر الحزن والغم على قلب "نيلا"، كيف سيكون حالها إذا حدث لـ"چاك" مكروه؟ عضت شفتها السفلى حتى لا تبدي أي انفعال. كان "چاك" يتحدث كما لو كان قد عاد إلى عمله القديم من جديد. إن هذا أكيد، إنه لن يعود مرة أخرى إليها إذا مارس حياته القديمة.

لكنه كان قد أخبرها من قبل أنه لن يعود مرة أخرى إلى هذا العمل.

كان الوعي يملؤها بأن "چاك" و"راي" يتشابهان كثيراً.

كانت عيونهما تبرق بلهيب المعارك، بالميل إلى لعب الأدوار الخطرة وعيش الأحداث المثيرة.

كانت تعرف أن الموت ليس هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يباعد بينها وبين "چاك"، كانت مهنته كضابط في مكافحة المخدرات ما تزال تجري في عروقه، وسط دمائه شعرت "نيلا" بالرغبة الغريبة التي امتلكتها حينما ترك والدها منزل الزوجية، كانت تريد أن تجري إلى حقل الغلال لتهرب بقلبها المجروح، لكنها لم تعد صغيرة. فاجأها الألم وكسر شيئا ما بداخلها، ولكنها اليوم امرأة تعرف كيف تخفي مشاعرها، امرأة تعرف كيف تظهر اللطف والود حتى في أشد اللحظات كآبة.

أظهرت "نيلا" دور المضيفة الكريمة لضيوفها، تركتهما وذهبت إلى المطبخ لتعد بعض السندوتشات وبعض القهوة الساخنة لكنها كانت تشعر بالموت في داخلها على الرغم مما كانت تبديه.

بعد ساعة وعندما أغلق الباب بعد رحيل "راي" ارتمت "نيلا" بين ذراعي "چاك" وقالت باكية:

-أرجوك لا تذهب إلى هناك، أرجوك لا تذهب.

ضمها "چاك" بشدة إلى صدره. كانت تخشى هذه اللحظة وعلى الرغم من احتفاظها بهدوئها أمام "راي" إلا أنه لمح في عينيها ظلام الخوف

والقلق.

همس لها:

-اهدئي يا عزيزتي، اشرحي لي ما الذي تخشينه.

كانت "نيلا" تستند برأسها على صدر "چاك" الذي ضمها إليه بحنان وعطف، كان صوتها مرتجفاً عندما حدثته عن بعض مخاوفها، كان ينصت إليها أكثر كلما مضت في حديثها. وعندما سكتت ذهب بها مرة أخرى إلى الصالون حيث استلقيا على الأريكة ذات القماش الأبيض والأزرق. قال لها:

- إن دوري لا يجب أن يقلقك لايجب أن تشعري بالخوف. كل ما يجب علي أن أقوم به هو أن أعرف مرشدنا على "راي" وهي ستتولى الباقي، ستقوم هي بتشغيله ويمدها هو بالمعلومات اللازمة للشرطة حتى يتم القبض على أفراد العصابة، وأنا بعد أن أقوم بمهمة تعريف المرشد بـ"راي" ساترك الحلبة بأكملها، وستتحمل صديقتي كل المتاعب والمصاعب المتوقعة.

أخبرها بكمّ المتاعب التي يخشاها على "راي" وكم أنها ستواجه مواقف عصيبة... إنها مهنة يعرفها جيداً ويعرف مكامن الخطر بها... كان منذ التحاقه بالعمل في وحدة مكافحة المخدرات يعرف مكامن الخطر ويحاول الابتعاد عنها إلا أن المتاعب كانت تلاحقه في كل مكان.

كانت "نيلا" تستمع إلى حديث "چاك" وهي شاردة الفكر، لم تكن تفكر في أي شيء سوى ما يمكن أن يصيبه من متاعب نتيجة تدخله في هذه القضية الخطرة. قالت له:

-لماذا "راي" بحاجة لتدخلك في هذه القضية؟

-لأن مرشدنا لا يعرفها، لم يعطها الأمان بعد.

لكن بالنسبة لي فإنه يعرفني جيداً، لقد عملت معه من قبل وستكون

www.alkottob.com

هذه آخر مرة أتصل به.

واجهته بعينين يملؤهما الغضب قائلة:

-هذا خطأ، لا شيء يجبرك على ذلك، لكنك متمسك بذلك. أليس كذلك؟

-نعم متمسك.

-أوه "چاك".

مدت يديها إلى وجهه، لامست وجنتيه برفق، ضمها إليه بقوة بينما كانت ترتجف من المجهود الكبير الذي تبذله حتى لا تبكي أمامه. قال لها شارحاً موقفه بصعوبة:

-حينما قدمت استقالتي تركت ورائي قضية مهمة كنت أعتقد أنني أسيطر على الموقف، لكن كان ظني في غير محله، غلبني خوفي وهذا الكابوس المزعج وذلك لأنني لم أجرؤ على مواجهته ومواجهة خوفي. ألا ترين ذلك يا حبيبتي؟

إن الفرصة سانحة لكي أعود في صخب الأحداث لأواجه هذا الخوف وأهزمه للأبد إن ذلك مثل وقوع الفارس من على صهوة جواده، لابد من العودة مرة أخرى لأمتطي ظهر فرسي.

شعرت "نيلا" بأنها ليست في وعيها، فخرجت عن شعورها، صاحت في وجهه:

-ليس الأمر هكذا، إن الوقوع من على ظهر الجواد لا يشبه أبدا الوقوف مشلولاً أمام فوهة مسدس في يد مخبول يطلق النار عليك وتنجو باعجوبة لأن خزان الرصاص بالمسدس كان خالياً.

-لا تخلطي الأمور من فضلك يا "نيلا". إن ما أحاول أن أعبر لك عنه هو ذلك الخوف الذي بداخلي، إن الفرصة سانحة اليوم لمواجهة هذا الخوف، وإذا لم أستغلها فربما أظل طيلة حياتي فريسة سهلة لهذا الخوف، يجب أن أتحكم في الموقف، بعد ذلك، بعد أن أقهر هذا

الخوف والظلام بداخلي أستطيع أن أقرر بملء إرادتي ترك ذلك العمل بلاعودة. ارخت "نيلا" قامتها المنتصبة يائسة، لا شيء سيمنع "چاك" من العودة إلى "ميامي" مرة أخرى مع "راي".

أغمضت عينيها إنه لا يحبها حقيقة، كل ما كان يريده منها هو لحظات حبها له لم يكن يريدها بجانبه طيلة الحياة سيتركها إن آجلاً أو عاجلاً، في اليوم الذي سيشعر فيه بأنه تخلص من كوابيسه المزعجة سيبتعد عنها، بلا شك لن يكون في احتياج لها، لماذا سيعود إليها إذن بعدما يقهر خوفه؟

-إن الوقت متأخر يا "نيلا"، هيا نذهب لننام.

كان هذا هو الشيء الوحيد الذي لا يجب ذكره بالتحديد في ذلك الوقت.

في حالة التوتر، والألم، والارتباك والحيرة التي تشعر بها المرأة. كانت مثل هذه الجملة كافية لأن توصلها إلى قمة غضبها:

-لماذا؟ لأنك لا تريد أن ترى أحلامك المزعجة. أنت في احتياج لنوم هادئ بدون كوابيس. ما الذي أخبرك بأنني لدي الرغبة لأنام معك؟

لم يدفعها "چاك" لكنه ابتعد قليلا ليستطيع مواجهتها بشكل أفضل قال لها:

-فلنواجه بعضنا البعض إذا أردت ذلك، لكن من الأفضل لكلينا اللجوء إلى الصدق.

-الصدق؟

قفزت "نيلا" واقفة قائلة:

-إنك لم تتحر الصدق معي منذ أن تعارفنا.

لم يكن ذلك حقيقياً لكنها كانت مهمومة بهواجسها المخيفة.

-وهل يلزمنا أحيانا أكثر من الثقة؟

www.alkottob.com

اغتم "چاك" وحزن، كانت عيناه في عينيها وأمام إصرارها العنيد.. أضاف:

-نعم، بدون شك. إنك لاتشعرين بالثقة في نفسك، فكيف يمكنك أن تمنحيني الثقة وأنت تفتقدينها؟ إن فاقد الشيء لا يعطيه.

اتجه "چاك" نحو الباب تاركاً وراءه "نيلا" مرهقة.

جاهدت "نيلا" كثيراً حتى استطاعت أن تقفز إلى السرير. في حجرتها كانت عيناها تحدقان في سقف الغرفة. عندما حاولت أن تغلب النوم لتستريح قليلا من إرهاق هذا اليوم العصيب. شعرت كم سيكون ذلك صعبا عليها بمفردها... إن السرير يبدو كالصحراء الموحشة بدون "چاك".

والآن...

هذه أظلم ليالي حياتها... إن السرير يبدو كبيراً ومخيفا مثل السماء الحالكة السواد بالخارج.

والوحدة...

عرفت "نيلا" انشقاقات كثيرة في حياتها الماضية لكن لم يكن يوجد بينها شقاق مدمر مثل الحالي، شعرت "نيلا" بالهلع عندما فكرت أن "چاك" يمكن أن يترك حياتها بدون عودة.

في صباح اليوم التالي جاءها "چاك" ليودعها، أظهرت "نيلا" - على الرغم منها- تماسكاً وخوفاً.

همس إليها بصوت هادئ تغلب عليه العواطف الجياشة:

-أعرف أنك خائفة، فلتصدقي أولا، ساعود. تصلبت "نيلا" في مكانها، حاولت التماسك حتى لا تبكي لكن ذرفت دمعة على الرغم منها، خفضت رأسها لتخفي دمعتها، شعرت بإبهامه يمسح دمعتها من خدها البارد، جذبها برفق وحنان إلى ذراعيه.

-اذكريني يا "نيلا"، إنني رغبت فيك منذ أول لحظة رأيتك فيها، وعندما هربت بعد ليلتنا الأولى تتبعت أثرك حتى هنا. إن هذا شيء غريب لكن كان لدي الإحساس والشعور بانني ابحث عنك منذ فترة طويلة، ولقد رفضت قطعياً أن نتباعد عن بعضنا.

ارتسم على وجهها البرود رغم هذه العواطف الجياشة. إذن هو يحبها حتى بالرغم من عدم ثقتها فيه.

رجع خطوة للوراء، تفحصها جيداً قبل أن يقول لها:

- حتى الآن كنت أنا دائما البادئ بأول خطوة، والآن دورك يا "نيلا". إنني في احتياج أن أعرف أنك تمنحينني الثقة وتثقين في عواطفي المخلصة والدائمة لك، عندما سانتهي من قضية "ميامي" سارسل إليك بتذكرة طائرة إذا كنت تريدين أن تريني، سانتظر في كازينو "بهاما الملكي".

بدا اليوم لا نهاية له. كانت "نيلا" تشعر بثقل مرور الوقت بعد رحيل "چاك"، عادت مجبرة إلى روتين يومها المعتاد، فتحت المتجر وظلت جاثمة بداخله كقطعة الأثاث لا حراك فيها، لكن كان قلبها يكاد يتقطع حزنا ويشتعل شوقا إلى "چاك". كانت تشعر بالخطر بداخلها وكانت لا تعرف كيف تتصرف في هذا الموقف العصيب الذي بدل حياتها، كانت تريد أن تبكي في كل مرة تفكر في الطريقة الفظة واللاشعورية التي ودعت بها "چاك". إنها حتى لم تستطع أن تقبله قبلة وداع.

عندما لحقت "إيمي"، و"كلوفر" و"انچي" بها في المتجر انفجرت في البكاء بين ذراعي والدتها الحانيتين.. ضمتها "إيمي" بشدة إلى صدرها بالقرب من قلبها وهي تمر بيد الأم الحنون على رأس طفلتها المتألمة بينما كانت تذرف الدمع الحزين تعبيراً عن الأسى لما حدث.

-ألم أقل لك: إن الرجال هم أسوأ المخلوقات على ظهر الأرض؟

www.alkottob.com

تشجعي يا "نيلا"، لا تتركي عواطفك تهزمك.

ردت عليها "انچي" بقوة وعزم:

-اسكتي يا "كلوفر"، كفاك ثرثرة. إن "چاك" لم يهجر "نيلا". إنه عائد عائد.

قالت "إيمي":

-بالتاكيد لا، تشجعي يا حبيبتي. إنني أعرف أن ما ساقوله لك لن يروق لك، لكن "چاك" على حق.

إنك تتركين مخاوفك تسيطر عليك..

-أمي.. إنك يجب أن تكوني بجانبي.

-إنني فعلا بجانبك، لكنك لا تريدين رؤية الحقيقة وهي أمام عينيك، وفي الواقع فإن الخطا خطئي انا.

نظرت إليها "نيلا" بدهشة واستغراب واستفسرت قائلة:

-كيف ذلك؟

ردت عليها "إيمي" موضحة:

-"چاك" يعرف جيدا أنه من الحكمة مواجهة مخاوفه، لابد لكل شخص أن يكون لديه الشجاعة ليواجه نفسه ومخاوفه. انا شخصيا لم تكن لدي أبدا هذه الشجاعة في يوم ما.

ولم أعلمك أبداً أنت وأختك "ماري" كيف تفعلان ذلك، ربما لأنني لم أعرف كيف يحدث..؟

أخذت "إيمي" نفسا عميقا. كان يبدو واضحا انها تريد أن تتزود بطاقة لتكمل اعترافاتها التي ربما لم تخبر أحدا بها من قبل.. أضافت:

-عندما هجرني والدك اعتقدت بداخلي أنني ربما لم أكن جميلة، ذكية، جذابة حتى يمكن أن أستعيد زوجي. لم أكن أريد أن أفهم أن هذه الصفات السطحية لم تكن لها أي أهمية بجانب الأسباب العميقة

والمعقدة التي بسببها تركني، ومرت بي الأيام وحولتني عواطفي ومشاعري غير الناضجة إلى امرأة مغوية... كنت أريد أن اثبت لنفسي أن لدي الجاذبية الكافية والتي تمكنني من إيقاع أي رجل أريده في شراكي، أنت أيضا تخفين خوفك من هجر "چاك" لك ولكن بطريقة مختلفة كليا عن أسلوبي.

فتحت "نيلا" فمها لتدافع عن نفسها، لكنها مالبثت أن سكتت. إن أمها على حق وكل ما تقوله صحيح. قبلتها على خدها:

-شكراً يا أمي، انت تعرفين أنني أحبك. أليس كذلك؟

بالتاكيد يا عزيزتي "نا ايضا أحبك. والآن أعطيني- أرجوك - قرصي أسبرين حتى يمكن أن أستلقي على السرير لأذهب في نوم عميق، حتى يمكنك أن تتخذي قراراً في مشكلتك. إن "چاك" رجل رائع، عاطفي، سيكون شيئا خاطئا الا تلبي دعوته، إن "انچي" تعرف جيدا كيف تعتني بالمتجر كل الوقت الذي ستغيبين فيه ثمانية أيام فيما بعد. كانت "نيلا" ترتدي فستانها الضيق المخملي الأسود والمطرز بالزمرد والذي استعارته مرة أخرى من "انچي".

عندما دخلت كازينو "بهاما الملكي" لم تكن تبحث هذه المرة عن طريقة لتقضي بها الليلة، وإنما كانت تبحث عن حياتها الحقيقية.. كان قلبها يدق بشدة، يكاد ينخلع من صدرها.. وقفت برهة على أعتاب صالة الألعاب.

سمعت صوتا خلفها يقول لها بنبرة شوق وعطف:

-هل تريدين فارسا ، سيدتي الجميلة؟

استدارت ببطء لتجد "چاك" أمامها. كان رائعا ببذلة السهرة التي يرتديها. شعرت بانفاسه تتلاحق، رسمت على شفتيها ابتسامة مضطربة، نظرت إليه كالطائر الحزين الذي حط على الأرض بعد طول

www.alkottob.com

طيران. قال لها وهو يمد يده إليها بربع دولار:

-هل تريدين ماكينات اللعب؟

-مستحيل. إن هذا ليس مساء حظي.

ردت عليه كما فعلت من قبل في أول لقاء بينهما، وضع قطعة النقود في راحة يدها قائلا:

-أشعر أن حظك سوف يتغير.

-أنت كل الحظ الذي أريده يا "چاك".

أخذت بيده وخرجا سويا إلى خارج الكازينو. قال لها وهو يصطحبها إلى فندق "ملكة البهاما":

-أحبك بشدة يا "نيلا".

نظرت إليه نظرة مازحة وقالت:

-لم تكن تحبني منذ ثمانية أيام، ما الذي دفعك لتعتقد أنك تحبني اليوم؟

توقف وكانت عيناها تساله بصراحة وشوق عن ذلك. كانت السحب الخفيفة تحجب قليلا ضوء القمر وكانت الأشعة تتسلل خلسة من بين ثنايا الأشجار، كان الضوء الفضي يبدو شاعريا.

قالت له:

-يبدو أنك سُحرت بشيء ما.

تسللت يداه برفق إلى شعرها وداعبها برفق قائلا:

-إنني أحببتك منذ استيقظت في غرفة الفندق ووجدت ضالتي. فقط كنت في غاية العناد ومحاطا بعاداتي حتى فهمت ذلك.

- إني أحبك.

رفعت وجهها إليه كما لو كانت تدعوه ليقبلها.

طبع على شفتيها قبلة طويلة قبل أن يضيف:

-طوال الأسبوع لم أفكر في شيء سواك يا "نيلا".

همس إليها وهو يضمها إلى قلبه. ثم قال:

-إنك أعطيت حياتي الاتزان العاطفة.. الحب... وبمجيئك هنا فإنك أحضرت معك الثقة كاملة، هكذا أوليتني ثقتك كاملة.. وأريد أن أمنحك المزيد عند العودة.

ابتسمت له وسألته:

-هل نجحت في إقناع مرشدك بالتعاون مع "راي"؟

كانت "نيلا" على ثقة بانه ليس في انتظار هذا السؤال.

-نعم.

-والكوابيس انتهت؟

-تماما.

-في هذه الحالة فإن وجودي بالليل لاضرورة له، لقد عدت تعرف طريقك للنوم جيداً.

رد عليها:

-لا لكن احتياجي لك أقوى من ذي قبل، أكبر مما تتخيلين.

-هل ستتزوجني؟

-وهكذا..

خفض "چاك" رأسه ليقبلها. علقت ذراعيها حول رقبته قائلة:

-ما رأيك في الأولاد؟ أخبرني بصدق.

نظر إليها نظرة عطف وحب، تلك النظرة الأبدية التي يبديها الرجال دائما إلى النساء اللاتي يحبونهن. قال لها:

-أنت لست..؟

ضحكت ضحكة رقيقة وقالت:

-لا، لكن ذلك سيسعدني كثيراً. إن لدينا حجرات كثيرة خالية بالمنزل.

www.alkottob.com

أمطرها بوابل من القبلات، لم تكن أي كلمة يمكن أن تعبر عن جمال اللحظة الحالية وروعتها.

رفع "چاك" أخيراً رأسه.

-هيا إذن يا حبيبتي، إن أمامنا عملا نقوم به. كان "چاك" يبتسم في ظلام الليل وهو يحيط كتفي حبيبته بذراعيه، لم يكن يتخيل أنه سيصبح عاشقا بهذه الدرجة يوما ما.

تمت

angelo8
www.rewity.com

www.alkottob.com